

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾

( سورة الرحمن )

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ،،

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدنا الله، وله الحمد أن شرفنا بالإيمان، وبين لنا الطريق المستقيم الذي يوصلنا إلى جنات النعيم. وله الحمد أن كرمنا على سائر البشر بنعمة الإسلام.

إن الإسلام هو النعمة العظمى، والرحمة الكبرى لبني الإنسان. فهو دين التوازن، جاء لينظم ويوازن حياة المسلم ليرقى به في جميع جوانب الحياة.

الإسلام.. ليس دين رهبنة وتعكف في الصوامع أو معجزات وخوارق؛ إنما هو دين واقع وعمل..

وفي هذا الكتاب..

نسعى بكل جهودنا لنبين حقيقة الإسلام والتوازن القيم الذي جاء به الإسلام في جميع المجالات على منهج أهل السنة والجماعة، ولم نحط بكل الجوانب فهي كثيرة ومتنوعة! إنما اقتصرنا على زهرة من كل بستان وعلى مثال واحد من الحكم البالغة.. وما ذكر في هذا الكتاب فهو أقل من القليل عن رحمة وعظمة الإسلام وإلا ففضائل وقيم الإسلام لا يحيط بها بشرا لعظمها وشرفها!

وقد حاولت بعد الاعتماد على الله عز وجل، أن لا أضع في هذا الكتاب غير الأحاديث الصحيحة فما كان من صواب فما توفيقي إلا بالله. وما كان من خطأ أو نسيان فمني والشيطان.

إن الإسلام اليوم يتعرض لكثير من الاعتداءات والتشويهات.. فكان الواجب على كل مسلم أن يقدم شيئا ولو يسيرا دفاعا ونصرة للإسلام فكان من ذلك

كتاب: "التوازن في الإسلام"

**الحمد لله على نعمة الإسلام**

قال تعالى: [**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)**] الأعراف.

الحمد لله أولا وأخرا، وظاهرا وباطنا، وسرا وجهرا.. له الحمد سبحانه عدد ما خلق، وملئ ما خلق، وله الحمد عدد ما في السماوات وما في الأرض, وله الحمد عدد ما نعلم ومالا نعلم. له الحمد وله الشكر والثناء الحسن. فهو إله واحد متفضل منعم كريم ودود لطيف شكور..

قال تعالى: [**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** **(164)**] آل عمران.

ما ذا عسى أن نقول أو نكتب أو نعبر.. عن شكر الله تعالى بأن اختارنا وفضلنا على جميع العالمين بالإسلام ! فمهما قلنا أو كتبنا فلن نوفي أبدا حق هذه النعمة العظيمة.

كيف لنا أن نعبر عن نعمة انتشلتنا من وادي الحزن ورفعتنا إلى قمة الفرح وأخرجتنا من الغي والضلال والظلمات.. وأدخلتنا في عالم النور الذي لا ينطفئ أبدا.

لقد كنا أذلاء وما عرفنا العزة إلا في الإسلام! كنا ضعفاء فقوانا الإسلام، كنا في ضنك من العيش فأسعد قلوبنا الإسلام، كنا مشتتين فجمعنا الإسلام، كنا فقراء فأغنانا الإسلام، كنا حيارى تائهين.. فأضاء طريقنا الإسلام، كنا نعيش في خوف وقلق فما وجدنا الأمن والأمان إلا في الإسلام. لم نكن شيء إلا بالإسلام.

لم ندرك معنى الطبيعة إلا في الإسلام، ولم ندرك الغاية من وجودنا إلا في الإسلام، ولم تكن لنا قيمة إلا بالإسلام.

قال تعالى: [**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** **(161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** **(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** **(163)** ] الأنعام.

إن الإسلام.. مصدر سعادتنا، ومنبع حياتنا، ومداوي جراحنا، وشافي أمراضنا، وهادينا ومنقذنا و منظم حياتنا، وجميع أمورنا!

لقد فضلنا الإسلام على العالمين. قال تعالى: [**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** **(2)**] فاطر.

قال رسول الله : (نحن الآخرون، السابقون يوم القيامة)خ/2[ 7057 ]، قال : (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى فقالوا ما لنا أكثر عملا وأقل عطاء قال هل نقصتكم من حقكم قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء)خ/1 [ 2148 ]، وفي رواية أخرى:

قال : (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر أجيرين بعدهم فقال لهما أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالا لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال لهما أكملا بقية عملكما ما بقي من النهار شيء يسير فأبيا واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور)خ/1[ 2151 ]

\*\*\*\*\*\*\*

**الإسلام ديني**

قال تعالى: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** **..(3)**] المائدة.

ديني الذي كرمني وشرفني وأعزني ورفع قدري، وفضلني على العالمين.

ديني الذي حفظ روحي وعقلي، ومالي وعرضي ونسلي.

ديني الذي لم شتاتي وأعتقني من ذل عبادة العبيد إلى الذل لعبادة الله الواحد رب العباد.

ديني الصافي الناصع الواضح، فلا يوجد في ديني شيء خفي أو مستور!! بل كله واضح للجميع.

ديني دين القيم والخلق الحسن والاحترام.

ديني دين الرحمة، والسماحة، والوسطية، والتوازن، واليسر، والسعادة، والحرية

ديني دين الحب، والراحة والطمأنينة

ديني دين الفطرة وجدت فيه كل ما أحتاجه وأحبه وأتمناه!

ديني دين العدل. أعطاني كل حقوقي ودر علي الخير والعطاء والهناء.

ديني..

الوحيد بين العالم الذي لا ينتمي إليه أحدا إلا رغبة فيه وحبا له.

فهو ليس دين مال، ولا جاه ولا سلطان. إنما دين الروح "أعظم ما يملك الإنسان"

ديني..

المتميز بين العالم بالعفاف والطهر والحياء.

ديني..

الشامخ، المتألق، بين الدخان والنار والرياح والذئاب الماكرة، والسباع الحاقدة

لا تقوى عليه أي قوة من الأرض لاقتلاعه من الدنيا

ديني..

الثابت الراسخ الذي يحاربه العالم بأسره بكل الإمكانيات والطاقات: الفكرية والعلمية والأخلاقية والروحية وفي كل زمان ومكان..

خوفا وإجلال أن ينتشر!

وتلك الحقيقة؛ أعظم دليل على قيمة الإسلام!

ديني الإسلام. أفديه بروحي ومالي ووقتي وجهدي وكل ما أملك، وسأبذل له كل ما أستطيع..

أحب ديني

لا أقوى على فراقه ولو لحظات

أثق فيه وأحتمي وألوذ وأعتصم به. أسكن وأطمئن إليه..

أحب الإسلام ديني

وأعلنها صادقة من صمام قلبي

وأقولها بكل فخر واعتزاز

الإسلام ديني.

قال تعالى: [**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** **(85)**] آل عمران.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**التوازن في الإسلام**

الحمد لله الذي تفضل علينا بنعمة الإسلام، ورضيه لنا منهجا للحياة ومرجعا وأصلا نتحاكم إليه ونقتبس النور منه، وبين فيه جميع متطلبات الإنسان وما يدور حوله، بأوضح بيان، وأسمى وأرقى نظام، وأدق وأحكم اتزان. إنه دين الوسطية و التوازن والنظام..

إن التوازن والاعتدال أمر مطلوب في الحياة, سواء في حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات. بل في الكون كله أجمع. فلا تستقر الحياة ولا يتحقق العيش الكريم إلا بالتوازن في كل شيء.

فنظراً لأهمية التوازن في حياة المسلم, ولِبعد بعض الناس اليوم عن النظرة المتوازنة للأمور بدون إفراط ولا تفريط , كان هذا الكتاب ((التوازن في الإسلام))

إن من أراد النجاح لأي منهج أو قانون أو عمل أو مشروع، فلا بد له من التوازن والنظام، وإلا فإن نسبة النجاح تكون ضئيلة جدا إن كان هناك نجاح !

والتوازن في الإسلام الذي هو شريعة الله تعالى ودينه الذي ارتضاه لناس جميعا توازن وضعه رب العالمين خالق الكون وخالق الإنسان.

فعندما يضع الله تعالى التوازن في الخلق الذي خلقه بذاته العظيمة فلا أعدل ولا أحكم ولا أفضل من ذلك التوازن، لأنه من يد الخالق العالم بكل ما يحيط ويحدث في هذا العالم.

والمتتبع لآثار التوازن في الكون سيرى عظمة وحكمة الخالق والتوازن المطلق في جميع خلقة، فنظرة واحدة لتتابع الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر، أو لألوان الزهر، أو لكيفية عمل عضو واحد في جسم الإنسان. لكفيله لمعرفة التوازن الكامل في جميع خلق الله تعالى. فكيف بنا إذا أمعنا وتدبرنا في الكون كله من حولنا! لجدير بنا أن نؤمن الإيمان الكامل أن الكون مخلوق في أعلى قمة التوازن والنظام\*.

وخالق هذا الكون المتوازن هو خالق الإنسان العالم بما ينفعه وما يحتاجه، فانزل له منهج يتحاكم إليه ليحقق التوازن مع الكون. فكان من ذلك "دين الإسلام" الذي فاق توازنه كل دين ووضع وقانون أرضي وضعة الإنسان!

وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق. لا يعذب الجسد ليسمو بالروح، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد. ولا يقيد طاقات الفرد ورغباته الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة أو الدولة. ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة، أو تسخرها لإمتاع فرد أو أفراد\*.

وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج المتوازن على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها في حدود طاقته، ولمصلحته؛ وقد زود بالاستعدادات والمقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف، وتجعلها محببة لديه ـ مهما لقي من أجلها الآلام أحياناً ـ لأنها تلبي رغبة من رغباته، أو تصرف طاقة من طاقاته\*.

**ما هو التوازن؟**

معنى التوازن:  
التوازن هو: إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص. أو النظرة المعتدلة للأمور بين أطراف متناقضة.

والمقصود: البعد عن طرف الإفراط والحماس الزائد والغلو والتشدد والمبالغة, كذلك البعد عن الطرف الآخر وهو التفريط والتهاون.  
أهمية التوازن في الإسلام:   
- البلوغ إلى المراد بيسر وسهوله وبدون مشقة وتكلف ومن ثم الوصول إلى دار القرار.

- الثبات على الصراط المستقيم فلا يتحقق الثبات إلا بالاعتدال والتوازن بدون إفراط ولا تفريط.

كذلك تظهر أهمية التوازن على مستوى الأمة, فضعفها يكون بسبب غلوها في جانب وتفريطها في جوانب أخرى.

مشروعية تحقيق التوازن:  
نظراً لأهمية التوازن في الإسلام لابد من تأصيل مشروعيته من الكتاب و السنة والكون، فأهم الأدلة المبينة لهذا التوازن ما يلي:  
أولاً: الأدلة من الكتاب:  
قال تعالى: [**مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** **(66)**] المائدة. وأمة مقتصدة أي: معتدلة.

قال القرطبي يرحمه الله: الاقتصاد: الاعتدال في العمل.  
كذلك بين الله سبحانه وتعالى أن سبب استخلاف هذه الأمة في الأرض كان: لتحقيقهم المبدأ الوسط الذي يعم جميع جوانب الحياة قال تعالى: [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** **... (143)**] البقرة.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

قال النبي : ( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) خ: 1/39

قال : (هلك المتنطعون)، قالها ثلاثا.م/2670. والمتنطعون: المتعمقون، المتشددون.

ثالثاً: التوازن قانون إلهي وناموس كوني:

لقد بينت كثير من الآيات عظمة صنع الله في الكون وأمرنا بالتدبر في مخلوقاته، ومن الآيات التي تبين وضوح قانون التوازن، قوله تعالى: [**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ** **(10)**] الرحمن. والعلم الحديث يبَين لنا جملة من الحقائق التي تؤكد أن الأرض سكن مثالي جداً للإنسان وفيه من التوازن العجيب ما يذهل العقول ويبهر الألباب.  
قال تعالى: [**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)**] يس. والمجرات كذلك فيها توازن وتناسق عجيب يحير الأذهان ويذهل العقول.

فتلك الأدلة تتبين أن التوازن منهج رباني وأصل أصيل في الشرع فهو أمر مطلوب على مستوى الفرد والمجتمع والحياة كلها لابد من إدراكه والسعي لتحقيقه.  
مجالات التوازن:  
التوازن معنى واسع شامل يشمل كل أعمال الإنسان دينياً وأخلاقيا واقتصادياً و سياسياً و اجتماعياً.. قال تعالى: [**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..(143)**] البقرة. أي: وسطاً في كل شيء متوازنين في كل قول وعمل.  
كيف نحقق التوازن:   
1- العلم : العلم الصحيح من الكتاب والسنة الصحيحة. هو الطريق الأول لتحقيق التوازن.   
2- القراءة في سير الصحابة رضوان الله عليهم، لمعرفة كيف طبقوا التوازن والاعتدال في حياتهم.

3- ترك إتباع الظن والهوى: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أصل الضلال إتباع الظن والهوى. قال تعالى: [ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** **(23)**] النجم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**

**قال تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] سورة البقرة.**

يحدث الله تعالى هذه الأمة عن حقيقتها الكبيرة في هذا الكون، وعن وظيفتها الضخمة في هذه الأرض، وعن مكانها العظيم في هذه البشرية، وعن دورها الأساسي في حياة الناس؛ مما يقتضي أن تكون لها قبلتها الخاصة، وشخصيتها الخاصة؛ وألا تسمع لأحد إلا لربها الذي اصطفاها لهذا الأمر العظيم**.**

إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا, فتقيم بينهم العدل والقسط; وتضع لهم الموازين والقيم; وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد; وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها, وتقول: هذا حق وهذا باطل. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها. وهي شهيدة على الناس, في مقام الحكم العدل بينهم. وبينما هي تشهد على الناس, فإن الرسول هو الذي يشهد عليها; فيقرر لها موازينها وقيمها; ويحكم على أعمالها وتقاليدها; ويزن ما يصدر عنها, ويقول فيه الكلمة الأخيرة. وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها, ولتشعر بضخامتها ولتقدر دورها حق قدره, وتستعد له استعدادا لائقا..

وإنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل, أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد, أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.

(أمة وسطا) في التصور والاعتقاد. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد, أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد, وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها, وتطلق كل نشاط بلا تفريط ولا إفراط, في قصد وتناسق واعتدال.

(أمة وسطا) في التفكير والشعور. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ولا تتبع كذلك كل ناعق, إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب; وشعارها الدئم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها, في تثبت ويقين.

(أمة وسطا) في التنظيم والتنسيق. لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر, ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب, وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب; وتزاوج بين هذه وتلك, فلا تكل الناس إلى سوط السلطان, ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان. ولكن مزاج من هذا وذاك .

(أمة وسطا) في الارتباطات والعلاقات. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته, ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة; ولا تطلقه كذلك فردا أثرا جشعا لا هم له إلا ذاته. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء; وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو, ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة; وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادما للجماعة, والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق .

(أمة وسطا) في المكان. في سرة الأرض, وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب, وجنوب وشمال, وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا, وتشهد على الناس جميعا; وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة; وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك; وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

(أمة وسطا) في الزمان. تُنهي عهد طفولة البشرية من قبلها; وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها; وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى; وتزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات, ورصيدها العقلي المستمر في النماء; وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك.

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها, إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها, واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي اختارها الله لها, واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها! والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها.

وأمة تلك وظيفتها, وذلك دورها, خليقة بأن تحتمل التبعة وتبذل التضحية, فللقيادة تكاليفها, وللقوامة تبعاتها, ولا بد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى, ليتأكد خلوصها لله وتجردها, واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة.

"نقلا من كتاب ظلال القرآن: تفسير آية"وكذلك جعلناكم أمة وسطا"

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

التوازن

في الإسلام

**التوازن في : العقيدة الإسلامية**

تموج المبادئ في مهدها ويبقى لنا المبدأ الخالدُ، مراكب أهل الهوى أدخمت نزولاً ومركبنا صاعدُ، سوانا يلوذ بعرافة وأسطورة أصلها فاسدُ، نسير ونسمع من حولنا نباحا ويغمقنا حاسدُ، يحدثنا الليل عن نفسه وفيه على نفسه شاهدُ، إذا عدد الناس أربابهم فنحن لنا ربنا الواحدُ.

قال تعالى: [**أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)**] يوسف. قال رسول الله : (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)خ: 8/1

\*\*\*\*\*

إن الإنسان بغير إيمان، ذليل صغير، ذليل المطامع، صغير الاهتمامات، ومهما كبرت أطماعه، واشتد طموحه، وتعالت أهدافه.. فإنه يظل مرتكسا في حمئة الأرض، مقيدا بحدود العمر، سجينا في سجن اللذات، لا يطلقه ولا يرفعه إلا الاتصال بعالم أكبر من الأرض، وأبعد من الحياة الدنيا، عالم يصدر عن الله عز وجل، ويعود إلى الله تعالى، وتتصل فيه الدنيا بالآخرة\*.

إن الإيمان يمنح المتاع والراحة والتلذذ بالوجود وما فيه من جمال .. والأنس بالحياة والكون\*.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

التوازن في عقيدة الإسلام:

\*الإيمان بإله واحد فقط. قال تعالى: [**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)**] البقرة.

إله واحد مستحق للعبادة والشكر، إله واحد بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله ومدبرٌ لكل هذا الوجود، إله واحد قادر على كل شيء وله ملك كل شيء، إله واحد ليس له مثيل ولا شبيه ولا ند ولا شريك ولا ولد ولا زوجه.... إنما هو إله واحد.

قال تعالى: [**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** **(1) اللَّهُ الصَّمَدُ** **(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** **(3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)]** الإخلاص.فكم إلهه نعبد؟ ولمن تلتجئ من الآلهة في الضر؟ هل جميع الآلهة قادرون على فعل كل شيء؟ أم بعضهم أقوى من الآخر؟ وإذا كانوا متساوون في كل شيء فما فائدة تعداد الآلهة!! لم لا يكون إلهه واحد؟!

إن تعدد الآلةمن أعظم الفوضى واللهو، والتناقض بين كل إله وإله، وعلو أمر القوي على أمر الآخر، وبه تتشتت حياة البشر!قال تعالى: [**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** **(91)]** المؤمنون.

نعم،، إلهه واحد نلتجئ ونستعين به، حتى لا يتشتت أمر العبد، إلهه واحد الجميع يعبده ويقصد إليه، إله واحد قوي قادر على كل شيء ندعوه وحده ونطلب منه النفع والخير..

والتعبد لإله واحد، يرفع الإنسان عن العبودية لسواه، ويقيم في نفسه المساواة مع جميع العباد، فلا يذل لأحد، ولا يحني رأسه لغير الواحد القهار، ومن هنا الانطلاق التحرري الحقيقي للإنسان.. أنه ليس هناك إلا قوة واحدة، ومعبود واحد\*.

قال تعالى: [**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)**] الأنعام.

ومن أرد الفوضى والشتات والذل .. فليتخذ آلهة أخرى من دون الله تعالى ولكن .. ليجيء ببرهان ودليل على هذا الإله.. قال تعالى: [**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)**] الكهف. قال تعالى: [**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)**] التوبة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

إن أعظم الذنوب عند الله تعالى الشرك بالله وهو اتخاذ الند مع الله تعالى، والله سبحانه يغفر جميع الذنوب مهما كبرت وعظمت سوا الشرك معه سبحانه، قال تعالى: **[إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** **(48)]** النساء.

وأعظم ما أمر الله تعالى به التوحيد. فهو"الأصل الذي يُبنى عليه الدين كله" وأعظم ما نهى عنه: الشرك، لأنه يحبط معه أي عمل، قال تعالى: [**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** **...(36)**] النساء.

-ومعنى التوحيد في الإسلام: أن لا معبود بحق إلا الله تعالى وحده، قال تعالى: [**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** **(62)**] الحج، وكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" وكيفية تحقيق التوحيد : تصفيته من شوائب الشرك كله الأكبر والأصغر، ومن شوائب البدع الاعتقاديه والعملية.

ولا يتحقق الإيمان بالله الواحد إلا إذا حققنا أربع أمور:

1-الإيمان بوجوده تعالى.

2- الإيمان بربوبيته: توحيده –إفراده- بأفعاله من الخلق والتدبير والملك.. قال تعالى: [**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** **(62)**] الزمر وقال تعالى: [**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** **(2)**] الحديد.

3- الإيمان بإلوهيته: توحيده –إفراده- تعالى بالعبادة، فلا تصرف إلا له وحده، قال تعالى: [**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)**] الأنعام.

وهذا هو التوحيد الذي نزلت به جميع الكتب، وأرسلت به الرسل، قال تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** **(25)**]الأنبياء.فأصل دين الأنبياء واحد، ولكن شرائعهم مختلفة.

4- الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: إثبات جميع الأسماء والصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه، في كتابه وسنه نبيه بدون تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه، وقاعدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: "الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات"

-وسبب وقوع الشرك: الغلو في الأنبياء والصالحين.. والغلو: مجاوزة الحد والإفراط فيه، بحيث يضيف عليهم من الصفات التي هي من خصائص الله تعالى، والاعتقاد أنهم يجلبون خيرا، أو يدفعون شرا.

**-وأركان الإيمان ستة:** الإيمان بالله الواحد، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر.

التوازن في الإيمان بالملائكة يتحقق بالآتي:

1-الإيمان بأن الملائكة عالم غيبي، مخلوق من نور لعبادة الله تعالى، لا يملك الضر والنفع إلا بإذن الله. قال تعالى عنهم: [**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** **(26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** **(27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** **(28)**] الأنبياء.

2- الإيمان بوجودهم، وأنهم أجسام لا خيال ووهم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم] رواه أحمد5/282، وصحح إسناده المحدث أحمد شاكر.

3- الإيمان بأسمائهم ممن علمنا اسمه.

فهذا عالم غيبي، أمره مبني على المذهب الصحيح، والوقوف على ما وقف عليه النص، فهم عباد الله تعالى المكرمون، لا يملكون الضر والنفع إلا بإذن الله تعالى.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، ولا ينفع أي عمل صالح ما لم يبنى على عقيدة الإسلام، قال تعالى: **[أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** **(109)]** التوبة. فما أن يستقر –الإيمان بالله الواحد- في الضمير حتى تسعى النفس إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح.. هذا هو الإيمان في الإسلام وهذه قيمته.. حركة وعمل وبناء.. يتجه إلى الله تعالى، ولا يمكن أن يظل خامدا لا يتحرك، منكمشا سلبيا ومنزويا في مكنونات الضمير\*!!

فالإسلام .. دين وسطية واتزان.. يوحد الإله، ويوحد الطريق، ويوحد المنهج

ليرفع كرامة الإنسان ويوصله بخالقة بدون -أي وساطة- وفي غير تعقيد، ليحافظ على العقل والفكر من التشتت والضياع.. ويثبت للإنسان الصغير قدرة، ويعظم من شأنه، بأن حياته كبيرة وعظيمة لا كحياة الحيوان.

إن الإيمان أعظم رقيب على الإنسان، وأقوى من أي سلطان ومنهج وطاغية.. يبقى معه أينما كان ..لا يفارقه أبدا. فيراقب حاسته الأخلاقية، والدينية، بدون أي رقيب على الأرض! بل بإيمانه برب الأرض، وبذلك يظهر قيمة الإيمان في حياة الناس عامة، قال تعالى: [**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)**] يوسف.

والاعتقاد بكرامة الإنسان على الله تعالى، يرفع من اعتباره في نظر نفسه، ويثير في ضميره الحياء من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها، وهذا ارفع تصور يتصوره الإنسان لنفسه أنه كريم عند الله تعالى، وكل مذهب أو تصور يحط من قدر نفسه، ويفصل بينه وبين الله تعالى –كما في بعض الأديان- فهو تصور أو مذهب يدعوا إلى التدني والتسفل\*..

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

والعقيدة التي يدعو إليها الإسلام عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي: "الوسطية في كل اعتقاد وعمل" والتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله "الصحيحة" بفهم سلف الأمة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**توازن الإسلام في: الإيمان بالكتب والرسل**

لقد خلق الله تعالى الناس جميعا، وسخر لهم ما في السماوات والأرض، وصورهم فأحسن صورهم، وفضلهم على كثير ممن خلق..

خلقهم لمهمة عظمى، وهدف كريم، فكان لا بد من إرسال الرسل بالكتب ليعلموهم ويرشدوهم لهذه المهمة الكبرى، التي هي عبادة الله وحده، والخضوع والانقياد والتسليم له..

والغاية من إرسال الرسل، قول الله تعالى: [**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** **(165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** **(166**)] النساء.

إن دين الإسلام يقر بأن جميع الرسل مرسله من الله عز وجل، ويجب توقيرهم ونصرتهم وحبهم والصلاة عليهم جميعا، ورفعهم لأعلى مقامات التوقير والاحترام، والإيمان الجازم بأنهم وفوا وبلغوا ما أرسلوا به من عند الله عز وجل على أحسن وجه. بلا تفرقة بين أحد منهم، قال تعالى: [**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ...(285)** ] البقرة. أي لا نفرق بينهم في الإيمان، بل نؤمن أنهم جميعاً رسل من عند الله حقا، وأن الشريعة المتبعة هي شريعة خاتم الرسل –محمد -

والله تعالى يأمر نبيه أن يعلن هذه الحقيقة، ويعلن إيمان أمته بجميع الرسالات واحترامها لجميع الرسل. قال تعالى: [**قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** **(136)**] البقرة.

هذا هو الإسلام في سعته وشموله لكل الرسالات قبله، وفي ولائه لكافة الرسل وفي توحيده لدين الله تعالى ورجعه جميع الرسالات إلى أصلها الواحد، والإيمان بها جملة كما أرادها الله تعالى لعبادة\*.

فعقيدة المسلم: الإيمان بالله الواحد الذي أرسل جميع الرسل، واختارهم على جميع البشر؛ ليحملوا أمانة رسالة توحيد الله تعالى بالعبادة -على اختلاف مناهجهم وشرائعهم بحسب أزمنتهم، وأقوامهم. قال : (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) خ/2 [ 3259 ]

نظرة الإسلام المتوازنة لنبوة:

\*أن النبوة مبناها على الاصطفاء والاختيار من الله تعالى، لا على الاكتساب والموروثات والدم!

\*أن جميع الرسل "صلوات الله عليهم" بشر، يأكلون ويشربون ويتزوجون... قال تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)**] الفرقان. وقال تعالى: [**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآَيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** **(38)** ] الرعد.

\*تقتصر دعوة الرسل على التبليغ من الله تعالى فقط، قال تعالى: [**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** **(99)**] المائدة. فلا يعلمون الغيب، ولا يملكون الضر والنفع إلا بإذن الله تعالى، وليس في أيديهم إظهار المعجزات والخوارق إلا بأمر من الله عز وجل.

وحكمة الله تعالى البالغة تظهر جلية في اختيار الرسل من نفس طبيعة البشر، ليتحقق منهج الله تعالى على صورة بشرية يستطيع أن يطبقها البشر، فلا تكون لهم الحجة بعدم تنفيذ شريعة الله تعالى

كذلك ليكون الرسول منهج حياة يمشي على الأرض لدية نفس فطرة البشر، ويعيش كما يعيش البشر لتتفق دعوته وأسلوب حياته مع جميع البشر.

\*الأنبياء والرسل لهم مكانتهم العالية، ولهم حقهم من التبجيل والتوقير والنصر والإتباع.. ولكن وسطية الإسلام تدعو بعدم الغلو فيهم وإضافة بعض صفات الإلوهية لهم. قال تعالى: [**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** **(77)**] المائدة، وقال تعالى: [**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)**] التوبة، قال تعالى: [**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)**] الكهف.

والغلو هو: مجاوزة الحد والإفراط فيه، بحيث يضيف عليهم من الصفات التي هي من خصائص الله تعالى، ويعتقد أنهم يجلبون خيرا، أو يدفعون شرا.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ويتحقق التوازن في: الإيمان بالرسل.

1- الإيمان بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا برسالة التوحيد، قال تعالى: [**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** **..(36)**] النحل.

2- الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله تعالى، فمن كفر بواحد منهم كمن كفر بهم جميعا، قال تعالى: [**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ** **(105)**] الشعراء. وقوم نوح عليه السلام – لم يكذبوا إلا نبيهم فقط. فلما كان إنكارهم لأصل الرسالة –وهي توحيد الله تعالى بالعبادة – وهي الأصل لكل رسالة سماوية، كانوا بمثابة من كذب جميع المرسلين.

3- الإيمان المجمل بجميع الرسل سواء علمنا باسمه أو لم نعلم. قال تعالى: [**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** **(163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** **(164)**] النساء.

4- تصديق ما صح من أخبارهم.

5- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتم النبيين والمرسلين.

6- الإيمان الجازم أن رسالة - محمد - كافه لناس أجمعين وعامة لثقلين. قال تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** **(28)**] سبأ. وقال تعالى: [**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** **(1)]** الفرقان. قال : (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) خ 328)/1.

ولتحقيق التوازن في الإيمان بالرسول محمد :

1- أن نعلم معنى الشهادة [شهادة أن محمد رسول الله] ومعناها: تصديقه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

2- أن لا يعارض قوله بأي قول آخر، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** **(1)**] الحجرات. فلن يكون الإسلام هو النطق بالشهادتين فحسب، دون أن يتبع الشهادتين معناها وحقيقتها، وهو الالتزام بالمنهج الذي جاء به محمد من عند ربه للحياة، وإتباع الشريعة التي أرسله الله بها، والتحاكم إلى الكتاب الذي حمله إلى العباد.

3- تقديم محبته على جميع الخلق، قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) البخاري1/15

4- الاعتقاد الجازم أنه خاتم النبيين، وأنه أفضل الرسل، وأن شريعته أكمل وآخر الشرائع، وقد نسخت جميع الشرائع التي قبله. قال تعالى: [**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** **(40)] الأحزاب.** قال : (إنه لا نبي بعدي) خ/2 [ 3268 ].

5- موالاته ونصرته، وإنزاله منزلته، ونشر شريعته، والذب عن سنته.

ويعتقد أهل السنة والجماعة، أن الصحابة أجمعين، أفضل الأمة بعد نبيها ويدينون لله تعالى بحبهم، بلا إفراط ولا تفريط. ويتبرؤون من طريقة الروافض والخوارج.. قال تعالى: [**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** **(100**)] التوبة، قال النبي : ( لا تسبوا أصحابي فلوا أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ) خ: 2/3470

ويتحقق التوازن في فضل الصحابة –رضوان الله عليهم- :

1-أن نحبهم جميعا بلا استثناء، ولا نفرط في حب أحد منهم.

2- أن نبغض في الله تعالى من أبغضهم.

3- الاعتقاد بأنهم خير هذه الأمة، وأفضلها على الإطلاق، وأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه.

4- أنهم عدول ثقات أثبات.لا يبحث عن عدالتهم.

5- سلامة ألسنتنا وقلوبنا عليهم.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

هذا هو توازن الإسلام في الإيمان بالرسل: أن نؤمن بجميع الرسل وأنهم جميعا بشر، لهم نفس طبيعة وخصائص البشر، وأن الرسول –محمد - هو آخر وخاتم النبيين وأفضلهم، وأن رسالته عامة لثقلين، وأن الإيمان المتبع يكون له، وأن قوله مقدم على جميع الأقوال والأحكام، وأن صحابته جميعا هم أفضل الأمة بعد نبيها، بدون غلوا أو تفريط في حب أحد منهم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ويكون التوازن في الإيمان بالكتب:

أن نؤمن أن الله تعالى أرسل جميع الرسل برسالة واحدة هي رسالة التوحيد –توحيد الله بالعبادة- على اختلاف الشرائع والمناهج، فأنزل الله تعالى على كل رسول كتاب ومنهج وحجة ومعجزة..

ولتحقيق التوازن في الإيمان بالكتب السماوية يجب:

1-أن نؤمن أن جميعها منزل من عند الله عز وجل.

2- أن نؤمن بجميع الكتب والآيات التي أنزلت على جميع الرسل، سواء علمنا باسمها أو لم نعلم، قال تعالى: [**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .. (285)** ] البقرة.

3- تصديق ما صح من أخبار تلك الكتب.

4- الإيمان الجازم أن القرآن هو أفضل وأكمل وآخر الكتب فهو المهيمن. قال تعالى: [**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ****(48)] المائدة**

فالقرآن أخر الكتب المنزلة فهو كتاب الله تعالى المعجز: معجز في فصاحته وبلاغته، معجز في نظمه، معجز في كمال رسالته...

جاء القرآن ليكون منهج حياة لناس أجمعين، ليطبق في الأرض، لا ليتعبد به في المحراب فقط! جاء ليسمو بالأرواح، ويطهر الأنفس، وينير القلوب، ويهدي الحيارى، ويرشد الضالين، ويسهل وييسر ويبين طريق الحق.

قال تعالى: [**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** **(82)**] الإسراء.

جاء القرآن في أجمل الحلل، ليعلم الناس الآداب والقيم، وينشر الأخلاق والشيم، بأنقى وأزكى وأطهر العبارات والجمل، وفي غاية الروعة والإبداع والتناسق والتوازن. ليتمتع القارئ بلا كلل أو ملل. قال تعالى: [**إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)** الإسراء.

جاء القرآن .. ليرفع الهمم إلى القمم، جاء نبراساً للحياة والأمم، جاء ليدعوا إلى الهدى وصالح العمل، ويعطي السكون والرحمة والأمل، لينعم الناس في ظله وتقر به أعين ومقل.

قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** **(57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** **(58)**] يونس.

ومن أراد أن يعرف القرآن، فليتعلمه ويقرأه جيدا، فلن يجد فيه خطأ واحدا سواءً في الأحكام والشرائع أو تناقض واختلاف، أو حتى خطأ في اللفظ أو التشكيل.. رغم كثرة وعداوة المحاربين له منذ نزل! وليقارنه بالكتب المحرفة التي من صنع البشر، ليقارن كلام رب البشر بكلام البشر !! قال تعالى: [**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** **(82)] النساء.**

فهذا القرآن العظيم لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أبدا، فهو يتحدى الثقلين بمعجزاته ودلائله وآياته وبحقائقه الشاملة الكاملة .. ومن حقائقه:

حقيقة التوحيد والإلوهية، حقيقة خلق الإنسان، حقيقة الدنيا والآخرة، حقيقة البعث والنشور، حقيقة الكون وما يجري فيه، حقيقة القيم التي ينبغي أن تحكم حياة الإنسان في الأرض، حقيقة المهمة التي خلق الإنسان من أجلها، حقيقة الإيمان، حقيقة المعركة القائمة بين الإيمان والكفر، حقيقة السنن الربانية التي تحكم حياة البشر، حقيقة العبادة، وغيرها الكثير الكثير...

ففي أي كتاب جمع مثل هذه الحقائق كلها، بالتنسيق الذي عرض به في هذا الكتاب المعجز!! وبحجم هذا الكتاب الصغير الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان على مدى العصور والأزمان.. قال تعالى: [**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** **(9)**] الحجر. فلم ولن يتغير منه حرف واحد منذ نزل إلى قيام الساعة. قال تعالى: [**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** **(37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** **(38)**] يونس. وقال تعالى: [**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** **(88)**] الإسراء.

فالقرآن معجزة باقية لا تنتهي حتى تقوم الساعة، قال تعالى: [**سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** **(53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)**] فصلت. لذلك كان هذا الكتاب العظيم هو آخر وخاتم الكتب، وأفضلها وأكملها وأعظمها، بل وناسخ لما قبلها من الكتب.

وماذا عن التوراة والإنجيل؟

هما من كتب الله تعالى المنزلة على -موسى وعيسى عليهما السلام- وقد أمر الله تعالى المسلمين الإيمان والإقرار بهما، ولكن على حقيقتهما التي أنزلت بها دون تحريف ولا تبديل ولا تغير.. وقد غير وحرف أهل الكتاب "اليهود والنصارى" كتبهم وأضافوا إليها ما ليس فيها، وحذفوا منها وزادوا عليها من الأحكام والقوانين والأوضاع وكلام البشر! فقد كان في القرون الماضية وما زال كلما ظهر عالم أو حبر منهم نقص وزاد وغير ووضع فيها! حتى أصحبت قابلة دائما لتغير والتبديل والتطوير بحسب الزمان والمكان !! وأصبحت كتبا كثيرة بعد أن كانت كتابا واحدا.

قال تعالى: [**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** **(79)**] البقرة.

فلم تعد كتبهم الآن مرجعا حقيقيا، ولا كتابا سماويا خالصا، لأنها اختلطت بخرافات وأحكام البشر.. ولم تعد تلك الكتب بالنور والهدى، بل أصبح معظمها خرافات وأقوال كاذبة، والأدهى من ذلك إضافة بعض الكلمات البذيئة والأحكام الضالة، وطعن في الرسل. قال تعالى عن اليهود [**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** **(46)**] النساء. وقال تعالى عن النصارى [**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** **(14)**] المائدة.

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى أمر "اليهود والنصارى" بأن يقيموا التوراة والإنجيل! قال تعالى: [**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** **(68)**] المائدة. فالله سبحانه يأمرهم أن يؤمنوا بكتبهم المنزلة-بدون تحريف أو تأويل- فإنهم لو امنوا فعلا بها لجدير بهم أن يؤمنوا بالقرآن الذي جاء مصدقا لما في كتبهم، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** **...(47)**] النساء، وقال تعالى: [**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** **(91)**] البقرة، وقال تعالى: [**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** **(157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** **(158)**]الأعراف.

فقد كانت رسالة –محمد - مكتوبة في كتبهم فحرفوها واستبدلوها! قال تعالى: [**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** **(146)**] البقرة، وقد أمرهم الله تعالى أن يتحاكموا إلى الأحكام التي في كتبهم التي مكتوب فيها رسالة محمد ، فلما جاءت رسالة محمد ، طغى عليهم الحقد والحسد، وكفروا به وأنكروا رسالته، قال تعالى: [**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)**] البقرة، قال تعالى: [**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)]** البقرة، وقال تعالى: [**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** **(144)]** البقرة

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فتوازن الإسلام في الإيمان بالكتب: أن نؤمن بجميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى على رسله على حقيقتها التي أنزلت عليها دون تحريف ولا تبديل ولا تغير. كذلك نؤمن بأن آخر الكتب القرآن الذي أنزل على رسول الله محمد وهو خاتم الكتب والرسالات السماوية وهو الكتاب المتبع والمنهج المهيمن والناسخ لجميع الشرائع قبله.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فالرسول محمد هو آخر الرسل، والقرآن هو آخر الكتب. قال تعالى: [**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** **(33)** ] التوبة.

والجميع سيرجع إلى الله تعالى ليحكم بينهم بالحق، وليظهر الحق، ولن ينجو إلا أصحاب الحق. قال تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** **(17**)] الحج

**توازن الإسلام في: الإيمان بالآخرة**

الحياة في المقصود الإسلامي - ليست هذه الفترة القصيرة التي تمثل عُمر الإنسان الفرد، وليست الفترة المحدودة التي تمثل عُمر الأمة من الناس، كما أنها ليست الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في هذه الحياة الدنيا\*.

إن الحياة في التصور الإسلامي –تمتد في الزمان، فتمثل هذه الفترة المشهودة –فترة الحياة الدنيا- وتمتد في المكان- فتضيف إلى هذه الأرض التي يعيش عليها البشر، دارا أخرى: جنة عرضها السماوات والأرض.. ونار حامية !! بينما أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة، يتضاءل تصورهم للوجود الكوني، وتصورهم للوجود الإنساني، وهم يحشرون ويضيقون تصوراتهم وقيمهم في ذلك الجحر الضيق الصغير الضئيل من هذه الدنيا\* !!

ومن هذا الاختلاف في التصور يبدأ الاختلاف في القيم، ويبدأ الاختلاف في النظم.. ويتجلى كيف أن هذا الدين "الإسلامي" منهج حياة متكامل متناسق.. وتتبين قيمة الحياة الآخرة\*.

قال تعالى: [**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** **(29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى** **(30)وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** **(31)**] النجم.

إن إنسانا يعيش في هذا المدى المتطاول من الزمان والمكان .. غير إنسان يعيش الجحر الضيق، ويصارع الآخرين، بلا انتظار لعوض عما يفوته، ولا جزاء لما يفعله وما يُفعل به.. إلا في هذه الأرض ومن هؤلاء الناس\* !!

إن اتساع التصور وعمقه وتنوعه ينشئ سعه في النفس، وكبرا في الاهتمامات، ورفعه في المشاعر والقيم والسلوك.. فإذا أضيف إلى ذلك الاعتقاد في عدل الجزاء في الدار الآخرة، وفي ضخامة العوض عما يفوت، استعدت النفس للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح\* ..

قال تعالى: [**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** **(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)]**الزلزلة.

وقد أخطا من ادعى أن عقيدة الإيمان بالآخرة تدعوا إلى السلبية في الحياة الدنيا، والى إهمالها، وتركها بلا جهد لتحسينها وإصلاحها وتركها للطغاة والمفسدين.. تطلعا إلى نعيم الآخرة !!

فالدنيا في التصور الإسلامي –مزرعة للآخرة- والجهاد في هذه الحياة الدنيا لإصلاح الحياة، ورفع الشر والفساد عنها ..

فكيف يتفق لعقيدة هذه تصوراتها .. أن يدع أهلها الحياة الدنيا تركن وتفسد وتختل ويشيع فيها الظلم والطغيان وتتخلف عن الإصلاح والعمران! وهم يرجون الآخرة، وينتظرون الجزاء من الله تعالى !

إنما يزاول المسلم حياته في هذه الأرض وهو يشعر أنه أكبر منها وأعلى، ويستمتع بطيباتها وهو يعلم أنها حلال في الدنيا، خالصة له يوم القيامة، ويجاهد لترقية هذه الحياة وهو يعرف أن هذا واجب الخلافة في الأرض. ويكافح الشر والفساد والظلم محتمل الأذى والتضحية فهو إنما يقدم لنفسه في الآخرة فليس هناك طريق للوصل للآخرة إلا يمر بالدنيا، فالدنيا صغيرة وزهيدة ولكنها من نعم الله تعالى التي يجتاز منها إلى نعمه الله عز وجل الكبرى\*

قال تعالى: [**إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** **(36)**] محمد.

وشعور الإنسان بأن خالقة تعالى محاسبه ومجازية في الآخرة، يغير من تصوراته وموازينه وتحفزاته وأهدافه، ويربط الحاسة الأخلاقية في نفسه بمصيره، فيزيدها قوة وفاعلية، لأن هلاكه أو نجاته مرهونة بيقظة هذه الحاسة وتأثيرها في نيته وعمله لأن الحساب الختامي ينتظره هناك.\*

قال تعالى: [**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** **(49)**] الكهف.

ومن ناحية أخرى مطمئن إلى الخير واثق منه، حتى لو انهزم في الأرض في بعض الجولات، فهو مكلف دائما أن ينصر الخير ويكافح في سبيله سواء انهزم في هذه الأرض أم انتصر. لأن الجزاء النهائي هناك\*.. قال تعالى: [**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** **(32)**] الأنعام.

إن الاعتقاد بأن الحياة الدنيا، نهاية حياة الإنسان ليدعو إلى السعي وراء أتفه وأحقر أسباب الحياة وإلى التعلق الشديد بالملذات، والصراع الدائم مع الآخرين للوصول إلى متع الحياة الدنيا، والطمع الشديد والبخل بماديات الحياة، والحقد والحسد لكل صاحب فضل، ومنع النفع والخير عن الآخرين. لأنه يريد كل شيء في الدنيا يكون له بدون النظر إلى أسباب الحياة الشريفة التي ترفع من قدر الإنسان المكرم. فما دام أنه يعيش في الدنيا فيكفي أنه يعيش فيها\*، قال تعالى: [**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** **(96)**]البقرة. فكل طموحات وأهداف هذا الإنسان العيش في الحياة الدنيا وانتظار الثواب منها وفيها فقط! ولن يظلمه الله تعالى؛ بل سيعطيه حقه كامل في الحياة الدنيا، قال تعالى: [**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** **(15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** **(16)**] هود.

والله تعالى أعطى للإنسان المكرم، العقل ثم حرية الاختيار؛ إما الحياة الدنيا فقط والثواب فيها أيضا فقط! وإما الحياة الدنيا مع الآخرة، والثواب والجزاء فيهما جميعا. وللعاقل أن يختار ما يشاء قال تعالى: **[مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)]** النساء.ولكن.. من أراد الآخرة، فيجب عليه العمل لها والسعي لتحصيلها.. بفعل الخير واجتناب الشر.

قال تعالى: [**و َمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا** **(19)**] الإسراء.

من أجل ذلك كله .. لا تستقيم الحياة الإسلامية بدون الإيمان بالآخرة.

**توازن الإسلام في: الإيمان بالقدر**

القدر يتضمن جزء كبير من عقيدة المسلم، حيث يربطه دائما بالله عز وجل الذي بيده النفع والضر، ويقر في قلبه حقيقة حكمته تعالى وتدبيره، قال تعالى: [**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** **(50)**] القمر.

\*كل شيء.. كل صغير وكبير.. كل ناطق وكل صامت.. كل متحرك وكل ساكن.. كل ماضي وكل حاضر.. كل معلوم وكل مجهول.. كل شيء.. مخلوق بقدر.

قدر: يحدد حقيقته، ويحدد صفته، ويحدد مقداره، ويحدد زمانه، ويحدد مكانه، ويحدد ارتباطه بسائر ما حوله من أشياء، وتأثيره في كيان هذا الوجود. قال تعالى: [**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)**] الفرقان.

إن تركيب هذا الكون وتركيب كل شيء فيه، لما يدعوا إلى الدهشة حقا !! وينفي فكرة المصادفة نفيا باتا، ويُظهر التقدير الدقيق الذي يعجز البشر عن تتبع مظاهرة في جانب واحد من جوانب هذا الكون الكبير..

والقول بأن الكون صدفة! لا يصدر من إنسان تقلب بين أرجاء الأرض، وعلم بخبر السماء، ولا يصدر من إنسان يتتبع آثار الإبداع والجمال والتناسق في الأرض والسماء.. وإنما يصدر من عقل صغير محدود لا يدرك ما حوله\*!!

فالصدفة توحي بالفجأة، كقول: قابلت هذا الشخص صدفة- أي بدون علم ولا موعد.. فهل كل هذا الكون الهائل العظيم .. جاء فجأة! بدون تقدير وبدون علم ؟! هل الصدفة تقلب الليل والنهار وتجري البحار والأنهار وتبدع الثمار والأزهار! وبهذا الاستمرار!

كلا.. لا يوجد شيء من قبل المصادفة العمياء! بل كل شيء في هذا الكون بقدر\*.

لذلك كان من عقيدة المسلم، بل من شروط إيمانه: الإيمان بالقدر. ومقره القلب، بأن يعتقد أن كل ما في الكون يجري بتقدير الله تعالى وأمره وحكمته وعلمه، ولا يخرج شيء عن قدر الله تعالى. قال تعالى: [**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ** **(8)**] الرعد.

والإيمان بالقدر يجعل القلب مطمئنا واثقا، ويظهر حقيقة الكون عظيما هائلا، بل ويجعل الإنسان كبيرا.. كبيرا في تصوراته وأعماله واعتقاده .. كبيرا بعقله وفكره وانجازاته.. كبيرا عن الخرافات والباطل الذي يحاول الناس أن يصلوا به إلى حقيقة سر هذا الكون.

الإيمان بالقدر.. يربي النفس على الصبر والقوة والاحتمال، ويحارب اليأس والقنوط والكسل، ويشجع على الإقدام والعمل، ويخفف حدة المصائب المؤلمة، ويريح النفس ويطمئنها..

الإيمان بالقدر.. يختصر الطريق.. ويوصل مباشرة إلى الله تعالى. ويوحد مصدر القوة والقدرة المطلقة، ويربط القلب بأصل القدرة ومصدرها، فلا يتشتت القلب والفكر.. ولا يتذلل للمخلوقين لطلب النفع أو دفع الضر، بل يتوجه مباشرة للخالق القادر على كل شيء، الحكيم الرحيم العدل.. قال تعالى: [**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** **(107)**] يونس.

الإيمان بالقدر.. يعطي الراحة والاطمئنان والأمان.. عندما يثق المسلم أن الكون كله قائم على القدرة والعدل.. فلن يصله إلا ما هو مقدر له.. فلا يتهافت ويتعلق بغيره، بل يجعل تعلقه كله ورجاءه بالله تعالى، فكل إنسان مقدر له عمله ورزقه وأجله.. لا يسلبها أحدا منه، قال تعالى: [**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** **(51)**] التوبة، قال : (احفظ الله؛ يحفظك، احفظ الله؛ تجده تجاهك، إذا سألت؛ فاسأل الله، وإذا استعنت؛ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة؛ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف )-2561-صحيح الترمذي للألباني. قال : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا) السلسلة الصحيحة:5/497.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

التوازن في الإيمان بالقدر:

\*الإيمان الجازم الشامل أن الله تعالى قادر على كل شيء، ويعلم كل شيء، وخلق كل شيء بقدرته البالغة. قال تعالى: [**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** **(1)**] الملك.

\*الإيمان بأن جميع أفعال العباد بقضاء وقدر، داخلة في قوله تعالى: [**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)**] الزمر.

(قالت بعض الطوائف: أن للإنسان مشيئة واختيار وقدرة مطلقة، والإنسان هو الذي يخلق أفعاله، استقلالا، ولا رابطة بينه وبين مشيئة الله تعالى، وينكرون سبق العلم والكتابة، وأن الأمر أُلف لا يعلم الله تعالى به !! وقالت طوائف أخرى: الإنسان مسير مطلقا، لا مشيئة له ولا اختيار !!

وعقيدة الإسلام المتوازنة تقول: أن كل شيء بقضاء الله تعالى وأمره، وأن للإنسان قدره على أفعاله ومشيئة واختيار، والله تعالى هو الخالق لقدراته، فلا يشاء الإنسان إلا أن يشاء الله تعالى، والله عز وجل خالق أفعاله، فأفعال الإنسان تنسب إلى الله تعالى خلقا وإيجادا، وتنسب إلى الإنسان فعلا واكتسابا، فالإنسان مسير على ما كتب وقدر له في الأزل، ومخير بفعله.)

\*الإيمان بإرادة الله تعالى الكونية والشرعية:

فالإرادة الكونية القدرية: هي مرادفة للمشيئة لا يخرج منها شيء.

والإرادة الشرعية الأمرية الدينية: هي مرادفة للمحبة ، لما يحبه الله تعالى ويرضاه.

والفرق بينهما:

1-الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة، والإرادة الشرعية تستلزم المحبة.

2- الإرادة الكونية لا بد أن تقع إذا أرادها الله تعالى، والإرادة الشرعية من الممكن أن تقع أو لا تقع.

3- الإرادة الكونية مراده لغيرها لا لذاتها، والإرادة الشرعية مراده لذاتها.

والواجب على المسلم أن يعتقد الاعتقاد الجازم أن لله تعالى في جميع أفعاله وإراداته وأقداره.. حكم جلية وغايات ومصالح عظيمة، سواء علمنا بها أو لم نعلم.

**توازن الإسلام في: الجنة والنار، الرحمة والخوف، التوبة والذنب**

الإسلام يقر بالضعف البشري لدى الإنسان، ويقر بانجذابه وسقوطه أمام بعض المغريات، ويقر كذلك بميوله ورغباته إلى زخرف الحياة الدنيا.

ولما كان الإسلام دين توازن ووسطية ورحمه.. سهل ويسر للإنسان الطريق الذي يوصله لّنور إذا أظلم عليه الطريق.. فالإسلام دين يربي أبناءه ليرقى بأرواحهم، ويسموا بنفوسهم، ليترفعوا عن مدارك الحيوان إلى كرامتهم الإنسانية، ويحركوا عقولهم ويفكروا ويختاروا الطريق الصحيح، فإن زلوا أو أخطئوا أو ضلوا الطريق أثناء سيرهم.. فتح لهم أبواب رحمته ومغفرته ليعودوا إلى صلاح دنياهم وآخرتهم.

والجدير بالذكر أن وسطية الإسلام لم تضمن المغفرة والجنة الضمان الأزلي للجميع -كما في بعض الأديان- قال تعالى: [**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** **(123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** **(124)**] النساء. كذلك لم تغلق الأبواب في وجوه الضالين مهما بلغوا في الطغيان!! بل نظمت وعدلت. فأعطت للإنسان العاقل حرية الاختيار، فان أحسن جوزي بخير الجزاء، وإن أساء جوزي على قدر إساءته، فان عاد بعد إساءته فتح له أبواب التوبة والرحمة. وبهذا التصور الإسلامي يضمن الإنسان حياة آمنه مطمئنه دافعة ومعينة لعوامل الخير، مطفئة ومغلقة لسبل الشر والفساد.قال تعالى: [**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)**] النجم.

إن الإنسان إذا ضمن المغفرة التامة فسيعثوا في الأرض فسادا..لأنه ضامن للمغفرة! كذلك إذا علم أنه إذا أخطأ فلا عودة له ولا رجوع! فإنه أيضا سيتمادى ويزيد في الطغيان وفي كلتا الحالتين فساد وجور وظلم للإنسان والحياة ولا يعقل أن يكون هذا المنهج دين رباني من خالق البشر الذي يدعوا إلى صلاح الأرض !!

فالإسلام بين هاتين الحالتين.. فلا مغفرة تامة أزلية ولا يأس مقنط من رحمه الله تعالى ! بل وسطية تدعوا للعمل والصلاح .. وتغلق منافذ الشر والضلال، وتفتح الأبواب لمن أراد الرجوع.

إن الله تعالى غني عن عبادة، فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وإنما شرع كل ذلك لصلاح حياة الإنسان المكرم الذي نفخ فيه من روحه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا. قال تعالى: [**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)**] النساء.

وقد فتح الله تعالى برحمته الواسعة باب التوبة لجميع البشر مهما بلغ في كفره وظلمه وطغيانه.. قال تعالى: [**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** **(68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** **(69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** **(70)**] الفرقان، وقال تعالى: [**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** **(53)**]الزمر. قال : (ويتوب الله على من تاب) خ/2: [ 6072 ]

وقد رغب الله عز وجل وحث على فعل الخير.. ورتب على ذلك أعظم وأفضل الجزاء، قال النبي فيما يروي عن ربه عز وجل: ( إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة ) خ/2 [ 6126 ]

ووعد الله تعالى جميع المؤمنين بالجنة، والكافرين بالنار. وممن يعمل الكبائر أو السيئات العظيمة من المسلمين يعذب في النار بقدر سيئاته ثم يدخل الجنة، إذا كان معه أصل الإيمان.. والخلود الدائم يكون للكفار. قال تعالى: [**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** **(42)**]الأعراف. قال تعالى: [**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** **(10)**] التغابن.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فعقيدة المسلم المتوازنة تدعو إلى الصلاح والخير، والسير في طريق العمل الصالح، جامعا بين الخوف من عقاب الله تعالى إذا أساء، طامعا في رحمه الله تعالى في جميع أموره، مطمئنا انه إذا أخطأ فان باب التوبة مفتوح يلجه بكل يسر، قال تعالى: [**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** **(49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** **(50)**] الحجر، قال تعالى: [**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** **(3)**] غافر.ضامنا أن الجنة مأوى المؤمنين والنار مثوى الكافرين.

والإنسان هو من يحدد مصيره -فكلا مرهون بعمله- هذا هو عدل الإسلام!

قال تعالى: [**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** **(38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** **(39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** **(40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى** **(41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** **(42)**] النجم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في : الإتباع**

قال تعالى:[**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** **(153)**]الأنعام.

لقد كمل الله تعالى هذا الدين، وتمت نعمه الله تعالى على المسلمين، ورضيه الله تعالى منهج لحياة الناس أجمعين، ولم يعد هناك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديل، ولا لترك شيء من حكمه إلى حكم آخر، ولا شيء من شريعته إلى شريعة أخرى، وقد علم الله عز وجل حين رضيه لناس مرجعا أخيرا، أنه يسع الناس جميعا في كل زمان ومكان، وأنه يحقق الخير لناس جميعا إلى يوم القيامة.

قال تعالى: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...(3)] المائدة.**

وقضية الإتباع موقوفة على الكتاب والسنة الصحيحة، فالإسلام يحدد ويوحد للمسلم طريق الإتباع حتى لا يتشتت ويضيع في متاهات لا خلاص له منها!

وهذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم، وأن لا يتردد في تطبيقها على واقع الناس في زمانه، والتسليم بمقتضى هذه الحقيقة، ونتيجة هذا التطبيق\*. قال تعالى: [**وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** **(7)**] الحشر، وقال تعالى: [**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **(31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** **(32)**] آل عمران. وقال تعالى: [**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** **(36)**] الأحزاب.

ولقد وضع هذا الكتاب، أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة، وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة، دون الاصطدام بأصول المنهج الدائم\*.

ولم يحدث الضلال للبشرية، إلا عندما اتبعوا الأهواء والطرق والعادات والمذاهب الضالة، وعلى رأس تلك الطرق، إبليس والشياطين، والسادة والكبراء والمتجبرين، والآباء والعادات والتقاليد، قال تعالى: [**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** **(60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** **(61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ** **(62)]** يس، وقال تعالى: [**وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** **(59)]** هود، وقال تعالى: **[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** **(21)]** لقمان.

فمن هنا جاء الضلال.. بإتباعهم أمر كل متسلط عليهم، معاند لا يسلم للحق، وبمشيهم خلفهم وإتباعهم خطواتهم الضالة بلا تدبر ولا تفكر، ودون أن يكون لهم رأي، مستهينين بأنفسهم، متخلين عن تكريم الله تعالى لهم بالإرادة والعقل وحرية الاتجاه واختيار الطريق، وهم مسئولون أن يتحرروا من سلطان المتسلطين، ويفكروا بأنفسهم ولا يكونوا ذيولا فيهدروا آدميتهم\*!

فعند الله تعالى يسأل كل فرد عن نفسه، قال تعالى: [**وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)**] مريم، وقال تعالى: [**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ..(18)**] فاطر. فلا قرابة ولا قوم ولا عشيرة .. تنفع !!قال تعالى: [**لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** **(3)**] الممتحنة.بل سيتبرأ كل تابع من متبعيه.. ويتخلى عنهم، عندما يظهر الحق. قال تعالى: [**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** **(22)] إبراهيم،** وقال تعالى:[**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** **(166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** **(167)]** البقرة.

كذلك تظهر الندامة والعداوة من المتبعين، قال تعالى: **[وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** **(27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** **(28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا** **(29)]** الفرقان. قال تعالى: **[يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** **(66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** **(67) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا** **(68)]** الأحزاب، قال تعالى: **[قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** **(32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** **(33)]** سبأ.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فجاء الإسلام لينظم ويوازن هذه الفوضى "فوضى إتباع كل ناعق" فوحد طريق الإتباع ووضع المنهج الأساسي له وهو: كتاب الله تعالى وسنة نبيه الصحيحة، قال تعالى: [**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** **(108)]** يوسف، وقال تعالى: **[وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** **(13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)]** النساء

والإتباع يكون بالتسليم والرضا بأحكام الله تعالى ورسوله ، ومعنى إتباع الرسول : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عن وزجر، ولا يعبد الله تعالى إلا بما شرع.

قالتعالى: **[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)]** النساء. وقال تعالى: [**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** **(21)]** الأحزاب.

والله تعالى لم يرسل الرسل وينزل الكتب إلا للإتباع، واتخاذها منهج واقعي للحياة، قال تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** **..(64)** ] النساء. وقال تعالى: [**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** **(54)**] النور.

وإتباع الحق الذي جاء به الله تعالى هو سبيل الهداية والنجاح والفلاح، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..** **(24)**] الأنفال.

والخسران والعذاب والضلال في إتباع أي طريق غير طريق الإسلام الصحيح، ولذلك حذر الإسلام التحذير الشديد من إتباع الطرق الضالة، أو الابتداع ، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** **..(21)**] النور، وقال تعالى: [**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** **(6)**] فاطر، وقال تعالى: [**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** **(18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** **(19)**] الجاثية. قال تعالى: **[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)**] القصص**.**

وكل عمل أو قول.. غير مبني على عقيدة الإسلام فهو مردود على صاحبه، مهما بلغ من حسنه وكثرته. قال تعالى: [**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا** **(103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** **(104)]** الكهف. ولا يظلم الله أحدا.. قال تعالى: [**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)]** الأعراف.

**\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\***

ولقد حذر النبي من الابتداع في الدين، وزيادة وإدخال ما ليس فيه، أو التعبد بطريقة لم يشرعها الإسلام.. قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه-خ:5/221-م/1718. وقال : (إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) م/867. وقال : (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) [ 1229 ]خ/1

وجميع الطوائف ضالة.. ماعدا أهل السنة والجماعة، المستمسكون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الصحيحة، بفهم سلف الأمة. قال : [وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. وفي لفظ : على ثلاث وسبعين ملة، وفي رواية قالوا : يا رسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي )خلاصة الدرجة: صحيح مشهور في السنن والمساند ،المصدر: مجموع الفتاوى - الصفحة أو الرقم: 3/345

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله خطا وقال: " هذا سبيل الله " ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : " هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه " ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلي ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) العقيدة الطحوية/1/587( صحيح )

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

يتوازن الإسلام في قضية الإتباع، في أربع أمور:

1) أن الطريق الأساسي والوحيد للإتباع: كتاب الله تعالى وسنه الرسول الصحيحة.

2) القاعدة تقول: "لا مدخل للعادات والتقاليد في أمور التشريع" أي لا يجوز اعتقاد جواز التعبد بقول أو فعل.. بحجه أنه من عاداتنا وتقاليدنا وموروثات الآباء والأجداد..

3) كل قول أو عمل أو فعل .. مبني على غير عقيدة الإسلام، أو لم يشرعه الإسلام ، فهو مردود على صاحبه مهما بلغ في حسنه وكثرته.

4) كل إنسان مسئول عن نفسه، ولا يحمل أي إنسان إثم إنسان آخر، مهما كانت قرابته، ونسبه، وأن الحرية الكاملة لكل إنسان أن يتبع ما يشاء من الطرق، ولا سلطة لأي إنسان على قلب إنسان آخر مهما بلغ سلطانه وجبروته.

هذا هو صراط الله تعالى، وهذا هو سبيله، وليس وراءه إلا السبل التي تتفرق بمن يسلكونها عن سبيله.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: الحرية**

لقد أقام الإسلام للإنسان نظاما بشريا، لا تدمر فيه طاقة واحدة من طاقات البشر، إنما قصارى هذا النظام؛ أن يحقق التوازن بين هذه الطاقات، لتعمل جميعها في غير طغيان ولا ضعف، ولا اعتداء من إحداها على الأخرى، فكل اعتداء يقابله تعطيل، وكل طغيان يقابله تدمير\*..

وكما قيل: " لو أعطي كل إنسان ما تمنى لأكل بعضنا بعضا"

يظن بعض الناس أن الإسلام تقييد للحريات، وكبت لطاقات، فينفر من الإسلام ويعتقده دينا رجعيا يأخذ بيد أهله إلى الوراء ويحول بينهم وبين التقدم والرقي! فلابد أن نكشف عن تلك الحقيقة لسوء تصوراتهم أو قصور علمهم..

الإسلام ليس تقييدا للحريات، ولكنه تنظيم لها، وتوجيه سليم حتى لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين، عندما يُعطى الحرية المطلقة، لأنه ما من شخص يريد الحرية المطلقة إلا كانت حريته هذه على حساب الآخرين، فيقع التصادم بين الحريات، وتنتشر الفوضى، ويحل الفساد...

وهناك فرق بين التقيد الذي ظنه البعض، وبين التوجيه والتنظيم الذي شرعه لعباده الحكيم الخبير.. وعلى هذا فلا داعي لهذه المشكلة من أصلها، إذ أن التنظيم أمر واقعي في هذا الكون.

فهو خاضع لنظامه الاجتماعي، مستمسك بعادات بلده في مسكنه وذهابه ومجيئه، فيخضع مثلا لشكل اللباس ونوعه، ولشكل البيت ونوعه، ولنظام السير والمرور، وإن لم يخضع لهذا عاد شاذا يستحق ما يستحقه أهل الشذوذ والبعد عن المألوف.

إذن.. الحياة كلها خضوع لحدود معينه كي تسير الأمور إلى الغرض المقصود.. وإذا كان الخضوع للنظم الاجتماعية مثلا خضوع لا بد منه لإصلاح المجتمع، ومنه الفوضوية، ولا يتبرم منه أي مواطن! فكذلك الخضوع للنظم الشرعية أمر لابد منه لصلاح الأمة، فكيف يتبرم منه البعض ويرى أنه تقيد للحريات !؟

الإسلام ليس كبتا لطاقات! وإنما هو ميدان فسيح للطاقات كلها، فقد أباح الإسلام جميع المتع التي لا ضرر فيها على المرء في نفسه أو دينه أو عقله أو نسله أو ماله أو مجتمعه.

قال النبي : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) خ/1[ 2361 ]

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

**وداعا للعادات والتقاليد والقيود.. وأهلا ومرحبا.. بالإسلام والحرية**

فليس للعادات والتقاليد.. مكانا في الإسلام ولا وزن ولا قيمة، إنما أخترعها أُناس وألِفوها وساروا عليها، ولا علاقة لها البتة بالإسلام.

جاء الإسلام ليقضي ويعلو على كل العادات والضلالات القديمة، ويحارب العادات والتقاليد التافهة الجاهلية، ويضع الأسس والأحكام السديدة، التي فيها النفع والخير لسائر أهل الأرض.

والإسلام بريء من كل عادة ومنهج شريعة ومذهب وقانون.. لم يأتي به الإسلام، بل سفه وأضل تلك الأقوام ، قال تعالى: [**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71)**] الصافات، يهرعون: أي يحثون على الإسراع الشديد على آثارهم، وقال تعالى: [**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24)**] الزخرف. فلكل أمة وقوم عادات وتقاليد وضعتها لنفسها، ما أنزل الله بها من سلطان، تحكم هذه العادات تلك الأمم، وتسير على منهجها الجاهلي وتستمسك به تمسكا شديدا، وتتقيد به وتحافظ عليه أكثر من حفاظها على أبناءها ودينها، في كثير من الأحيان!!

فلما جاء الإسلام لم تستطع بعض الأمم أن تترك تلك العادات والتقاليد التي ألفوها وانتشرت بينهم حتى أصبح مكانها في القلوب أشد وطئا من دين الإسلام!! والبعض الآخر أراد أن يجمع بين الإسلام والعادات والتقاليد! –فحدث الذي حدث- اختلطت بعض شرائع الإسلام بالعادات والتقاليد الفاسدة.. وفي بعض المجالات تقدم العادات والتقاليد، ويترك الإسلام!! فانتشر الفساد، وحلت الفوضى، وتكلم الناس على الإسلام وأساءوا إليه وكرهوا بعض أحكامه، التي هي في الأصل عادات وتقاليد الأمم وليست من الإسلام في شيء. فإن أعلى وأوثق مقاصد الإسلام : "الحرية"

إن من يدعي أن الإسلام كبت وتقيد.. لا يعرف عن الإسلام ولم يقرأ جيدا عنه. إنما يتحدث عن عادات ومذاهب وتقاليد بلده وقومه التي قيدته باسم الإسلام!! قال تعالى: [**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** **(170)**] البقرة. والقاعدة تقول: "لا مدخل للعادات في أمور التشريع" أي لا يجوز اعتقاد جواز التعبد بقول أو فعل.. بحجه أنه من عاداتنا وتقاليدنا وموروثات الآباء والأجداد..

إننا نرى في بعض الدول العربية، بعض الحقوق تهدر وتضيع والمؤسف أنها دائما تربط باسم الإسلام! ويلقون اللوم والعتاب على الإسلام! والإسلام بريء من كل ذلك.

فمثلا.. بعض الدول العربية تعامل المرأة معاملة فيها بعض الظلم.. فالجاهلية الأولى تنظر للمرأة نظرة مختلفة عن نظرتها للرجل، وتعطى الحرية الكاملة للرجل بخلاف المرأة، وتحاسب المرأة على أمور لا يحاسب عليها الرجل، بل وتضيع بعض حقوق المرأة "التي جاء بها الإسلام" لأنها تخالف العادات والتقاليد التي ألفوها واستحكمت في قلوبهم من جاهليتهم الأولى!

وبعد تلك الاتهامات للإسلام.. تأتي امرأة عربية تقول: الإسلام ظلمني! الإسلام تقييد للحرية وكبت لطاقات.. أريد أن أترك هذا الدين وأنتمي إلى دين آخر –دين حرية- !! فلتجرب تلك المرأة العربية، وتدخل في أي ديانة أخرى.. "في البلاد العربية" لتتأكد ولتتثبت ولتعرف أن المشكلة ليست في الدين! إنما في العادات والتقاليد بعض الدول العربية !!

إن تلك المرأة نسبت الظلم وتضييع الحقوق للإسلام، ونست أو تناست أن من يحكمها هي العادات والتقاليد، والآباء والأجداد.. فلا فرق بين ديانة وأخرى مادام أن العادات والتقاليد هي التي تحكمها وتسيطر عليها.. ولكي تتأكد تلك المرأة أكثر.. لنتأمل معا حال كثير ممن يذهبون إلى بلاد الغرب ويتمتعون هناك بكل شيء. تاركين وراء ظهورهم جميع العادات والتقاليد، راجعين من تلك البلاد يتغنون بالحرية ! نعم .. حقا إنها حرية من العادات والتقاليد.. فلو كان الإسلام هو من يحكمهم.. لما فارقهم في أي زمان ولا مكان!!

الإسلام دين حرية. فمن أراد أن يدخل في الإسلام فليدخل، ومن أراد أن يفعل الفواحش والمعاصي والمنكرات فليفعل، ومن أراد أن ينتهي عنها فلينتهي، ومن أحب أن يطع الله تعالى فليطعه ومن أراد أن يعصه فليفعل [قمة الحرية] كل ذلك لك أو عليك. قال تعالى: [**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** **(29) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** **(30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** **(31)**] الكهف.

وبعد أن أعطى الله تعالى للإنسان الحرية الكاملة في الاختيار. امتن عليه بنعمة العقل التي تميزه عن سائر الكائنات، فعلى كل إنسان أن يفكر بعقله ولا يتبع عقول الآخرين، فما فائدة عقلة إذا استخدم عقول الآخرين وآرائهم ودياناتهم وترك عقله؟! فلابد أن نبحث عن ديننا جيداً وليكن اختيارنا لديننا بعقولنا لا بالوراثة ! فالكفار الآن يتخبطون في ظلمات الكفر والتعاسة .. نفوا عقولهم وعبدوا البقر، والشجر والحجر، وثلثوا الآلهة وركبوها تركيباً لا يعقله بشر! قال تعالى عنهم: [**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** **(10)**] سورة الملك. ثم بين الله تعالى له الطريق. طريق الجنة والنار، قال تعالى: [**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** **(145)**] آل عمران

فالإسلام لا يجبر أبدا أحدا على الإسلام. وقد أعلنها رسول الله صريحة، قال تعالى: [**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** **(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** **(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** **(3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ** **(4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** **(5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)**] الكافرون. قال تعالى: [**لَا إ ِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)**] البقرة.

ماذا بعد كل ذلك تردون من حرية؟! أي حرية أعظم من ذلك؟؟

الإسلام لا يرضى أبدا بل ويرفض كل الرفض أن تقام شرائعه وأحكامه على حساب قوم أو قبيلة أو دولة أو عادات وتقاليد.. الإسلام لا يرضى إلا أن يكون أعلى من كل أولئك، وأن يحتل المكان الأول في القلب، وأن يكون هو الوحيد الذي يحكم الإنسان. وأن يكون ثابتا راسخا في قلب المؤمن، يبقى معه أينما كان، سواء كان في بلده أو خارجها، مع أهله وقومه أو لوحده، في خلواته واجتماعاته، في يسره وعسره، في غناه وفقره، في كل مكان وزمان..

فالإسلام دين إخلاص. دين مراقبه لله وحده عز وجل، تظل المراقبة مع المسلم أينما كان لا تنفك عنه أبدا. فهو عقيدة .. لا تحتمل لها في القلب شريكا، فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها.

وإذا تناقضت وتصادمت أحكام الإسلام أمام العادات والتقاليد فجميع العادات والتقاليد تداس باسم الإسلام. فالإسلام جاء ليعلو فوق كل شيء. فلا يعلى عليه أي شيء.

وأخيرا/ نريد أن نربي أبنائنا على الإسلام. فلا نخوفهم إلا من عقوبات الإسلام، ولا نحثهم على الجزاء إلا من الإسلام، فلا رقيب عليهم إلا الإسلام.

ليعلم كل إنسان أنه كامل الحرية، فلا سلطة عليه إلا سلطة الإسلام، وبذلك يخرج من دائرة الذل للعبيد إلى عزة الإسلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: العدل وإقامة الحدود**

لقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بالكتب والمعجزات... ليقوم الناس بالعدل. قال تعالى: [**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** **... (25)]** الحديد.

فالعدل هو مبدأ الرسالة، والغاية الكبرى من إرسال الرسل، وهو الهدف الأول الذي تقام عليه جميع الحياة، وجميع الأجناس، وكل العوالم الأخرى..

والعدل. ليس جديدا في الإسلام! بل جميع الشرائع قبله، جاءت بالعدل وللعدل، ثم خُتمت تلك الشرائع بشريعة الإسلام، التي هي أفضل وأقوم وأعدل الشرائع. قال تعالى: [**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ..** **(17)**] الشورى.

جاء الإسلام. ليقام الحق والعدل في الأرض، فبعد أن كانت البشرية تتخبط في ظلمات الجهل والضلال والظلم والاعتداء وأخذ الحقوق، واعتداء الكبير على الصغير، والقوي على الضعيف، والشريف على الوضيع.. جاء الإسلام ليحقق العدل بين الناس جميعا، بلا تفرقة بين الأجناس والأنساب، بل وبين الديانات الأخرى!

فكل أحكام ونظم وشرائع الإسلام جاءت للعدل. فلنسر معا لنتأمل توازن الإسلام في قضية العدل بين الناس.. وكيف تقام أحكام القتل والقصاص وقطع يد السارق.. بالعدل! ثم لنحكم هل تلك الأحكام عدل أم ظلم؟!

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

إن حقوق الإنسان أصلب وأمتن قاعدة في النظام الإسلامي، والإسلام يضع القوانين والأحكام المناسبة للبشر ولكل عصر التي فيها العدل والنفع للجميع، فالإسلام مثلاً يوجب العقاب على مرتكبي جريمة- القتل الخمر الزنا..- وهذه الأحكام والعقوبات التي وضعها الإسلام رادع لمن أراد أن يرتكبها، وحفاظاً على أعراض المجتمع فعندما يتيقن القاتل أنه مقتول فهل سيتجرأ على القتل؟ وعندما يعلم العابث بالنساء والأطفال العقاب فهل سيتجرأ على هذا العمل؟ وقد يشعر البعض بالشفقة والرحمة تجاه هؤلاء! لكن إذا تخيل أن المقتول هو قاتل أبيه أو أمه، أو الزاني هو الزاني بمحارمه أو أن السارق هو سارق أمواله وكنوزه الثمينة.. سيتمنى حينها أن يعاقب هذا المجرم بأفظع وأبشع أنواع العقوبات! فالإسلام يعامل أبناءه والمجتمع كله على أنهم أُسرة واحدة لا يجوز لأحد أن يتعدى على الآخر.. فالبشرية الآن تحترق بما تسمعه من جرائم القتل البشعة وانتهاك الأعراض ولو قاموا بتنفيذ حدود الإسلام لعاشوا مطمئنين سالمين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** **(178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** **(179)] البقرة.** وقال تعالى: [**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)**]المائدة، وقال تعالى: [**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** **(38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **(39)**] المائدة.

\*ندرك من هذه الشريعة التي تبينها الآيات، سعه آفاق الإسلام؛ وبصره بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع..

إن الغضب لدم فطرة وطبيعة، فالإسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص، فالعدل الجازم هو الذي يكسر شره النفوس، ويردع الجاني كذلك عن التمادي، ولكن الإسلام في الوقت ذاته يحبب في العفو، ويفتح له الطريق، ويرسم له الحدود، فتكون الدعوة إليه بعد تقرير القصاص، دعوة إلى التسامي في حدود التطوع، لا فرضا يكبت فطرة الإنسان ويحملها ما لا تطيق.

وقوله تعالى: [**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**]

تنكشف هنا الحكمة الأخيرة وأهدافها.. إنه ليس الانتقام، وليس إرواء الأحقاد! إنما هو أجل من ذلك وأعلى. إنه للحياة! وفي سبيل الحياة!

والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل! جدير به أن يفكر ويتردد، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل، شفائها من الحقد والرغبة في الثأر؛ الثأر الذي لم يكن يقف عند حد في القبائل العربية، حتى لتدوم معارك متقطعة أربعين عاما!

فلا يردع الظالم شيء كردعه بأن تنفذ عليه نفس الأعمال التي يقوم بها، ليشعر بالآخرين وبالظلم الذي يقوم عليهم، إحساسا يمنعه من الاعتداء على حقوق الآخرين، ويوقفه عند حده\*.

وكما قال تعالى في الآية، أن النفس بالنفس، فمن اعتدى على عين أو أذن أو جرح.. فعل به كما فَعَل بالمظلوم. كذلك السرقة وشرب الخمر وجميع الجرائم الأخرى. يعاقب فاعلها حتى لا يتجرأ على حقوق الآخرين. فالشريعة جاءت لمقاصد خمس: "حفظ الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال "

\*قال تعالى في نهاية الآية: [**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**]

هذا هو الرباط الذي يعقل النفوس عند الاعتداء، الاعتداء بالقتل ابتداء، والاعتداء بالثأر أخيرا.

التقوى: حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله تعالى، وطلب رضاه والخوف من غضبه عزوجل. إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة، ولا يفلح أي قانون، ولا تكفي التنظيمات الخالية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من الإنسان.

وهذا ما يفسره لنا ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهد النبي ، وعهد الخلفاء الراشدين، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجاني نفسه طائعا مختارا. لقد كانت هناك التقوى. كانت هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر، تكفها عن مواضع الحدود. وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية، والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى، تتعاون جميعا على إنشاء مجتمع سليم التصور، سليم الشعور، نظيف الحركة نظيف السلوك، لأنها تقيم محكمتها الأولى في داخل الضمير !!

ولأن الفواحش ذات إغراء وجاذبية.. فسدا لذرائع، واتقاء للجاذبية التي تضعف منها الإرادة، حُرمت الطرق الموصلة إليها، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .. (21)**] النور. فهذا الدين لا يريد أن يُعرّض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابهم عنتا في المقاومة ! فهو دين وقاية، قبل أن يقيم الحدود، ويوقع العقوبات، وهو دين حماية لضمائر والمشاعر والحواس والجوارح، وربك أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير.

فالإسلام لا يشدد في العقوبة هذا التشديد، إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية من وقوع الفعل، ومن توقيع العقوبة، إلا في الحالات الثابتة التي لا شبه فيها، فالإسلام منهج حياة متكامل، لا يقوم على العقوبة؛ إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة، ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة، ويتمرغ في الوحل طائعا غير مضطر، فقد وفر الإسلام ضمانات كثيرة جدا .. فإذا وقعت الجريمة بعد هذا كله وقع واستحق العقاب\*.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الإسلام يرفض الرفض الشديد لظلم. قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40)**] النساء، وقال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** **(44)] يونس**، وقال تعالى: [**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)] فصلت**، وقال تعالى: [**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)] الكهف.** وقال في الحديث القدسي: فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: [ يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما . فلا تظالموا .. " [صحيح مسلم](http://www.dorar.net/book/3088&ajax=1) - الرقم: 2577

ولقد أمر الله عز وجل نبيه أن يحكم بين الناس جميعا بالعدل، على اختلاف الأنساب والديانات.. قال تعالى: [ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)]الشورى.**

وقد أقام وحكم الرسول بالعدل على أحسن وأكمل وجه، فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله : (أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) خ/2[ 3288 ]، هذا هو عدل الإسلام !

وأمر الله تعالى جميع الناس أن يحكموا بالعدل، قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** **(58)] النساء،** قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** **(135) ] النساء. وقال تعالى: [وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** **(152)]الأنعام.** وقال : (إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها) خ/1[ 2326 ]

فجميع أحكام الله تعالى حق وعدل. وهو سبحانه خالق البشر ويعلم ما يصلح تلك النفوس وما يضبطها، وما يناسبها، فلا أفضل ولا أعدل من حكم رب البشر للبشر!! قال تعالى: [**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)]** المائدة.

ولقد فرق الله تعالى التفرقة الحاسمة بين حال الذين يجترحون السيئات، وحال الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون، وكيف يسوي بينهم في الحكم، وهم مختلفون في ميزان الله تعالى، والله قد أقام السماوات والأرض على أساس الحق والعدل\*، قال تعالى: [**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22)**]الجاثية، **وقال تعالى: [هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** **(163)] آل عمران.** فالجزاء عند الله تعالى على حسب العمل. قال تعالى: [**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54)] يس.**

هذا هو عدل الإسلام.. وقضية العدل في غاية التوازن في شريعة الإسلام. قال تعالى: **[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** **(90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** **(91)]النحل**

**توازن الإسلام في: الحلال والحرام**

إن أي شريعة أو قانون على وجه الأرض.. لا بد أن يكون لها حدود وشروط يلتزم بها من أراد الدخول والانضمام إليها، حتى تسير تلك الشرائع على وفق ومراد واضعها ومؤسسها.

ومن تلك الشرائع: شريعة الإسلام العظيمة. وحدودها وشروطها تسمى: الحلال والحرام.

ومبدأ الحلال والحرام في الإسلام، مبدأ توقيفي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ، ولا يجوز لأي إنسان مهما بلغ، ومهما كان عالما أو متعلما كبيرا أو صغيرا شريفا أو وضيعا.. أن يتكلم في شرع الله تعالى بأن يحرم أو يحلل ما لم يحرمه أو يحله الله تعالى ورسوله. قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** **(87) ] المائدة.**

فالله تعالى أنزل الإسلام شريعة كاملة، تناسب جميع الفطر والأجناس وتناسب جميع العصور والأماكن والأزمان.. فلا حجة لأحد في تحريم أو تحليل أي حكم.قال تعالى**: [ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** **(116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** **(117)]** النحل.قال تعالى: **[قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ** **(59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ** **(60)] يونس.**

فالله تعالى أنزل القرآن والسنة، لتبين لناس كل شيء. ولم يغفل الله سبحانه عن أي شيء نافع للإنسان في حياته وبعد موته. إلا بينه في كتابه وسنه نبيه قال تعالى: [**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** **(89)**] النحل.

وقد كمل الله تعالى هذا الدين فلا يحتاج لأي زيادة أو نقصان. قال تعالى: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) ] المائدة.**

ولقد أحل الله تعالى جميع الطيبات وكل ما ينفع الإنسان. وحرم فقط الخبائث وما يضر الإنسان.

كذلك.. من عظمة ورحمه الإسلام أنه أحل للمضطر المحرمات في الضرورات الملحة.

هذا هو توازن الإسلام في الحلال والحرام. لينعم الإنسان ويتلذذ بالطيبات. وهو ضامن وآمن أنها تنفعه فلا يتردد في التلذذ بها. ولييئس من المحرمات ويثق بأنها تضره عاجلا أو آجلا فلا يفكر فيها ولا يسعى لتحصيلها. و يأمن على دينه أنه ثابت لا يتغير. فلا يتشتت بقول عالم، أو فتوى جديدة!

**توازن الإسلام في : العبادات**

لقد خلق الله تعالى الإنسان لمهمة وهدف محدد، لا تستقيم حياه الإنسان؛ إلا إذا حقق هذا الهدف وتلك الغاية، قال تعالى: [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** **(56)**] الذاريات.

وعندما يتخلى الإنسان أو يجهل أو يتناسى مهمته في الحياة؛ فسيتخبط في ظلمات لا نهاية لها. ومهما بلغ في السعي وراء طموحات وغايات الدنيا.. فلن يدرك حقيقته وقيمته إلا في عبادة الله تعالى.

فنحن نعلم أن النحلة -مثلا- مهمتها التنقل بين الأزهار، واستنشاق رحيقها ثم صنع العسل فما ذا لو رأينها تطير بعيدا في الفضاء وتردد بين الكواكب والقمار ثم.. تخرج لنا الهواء !!

لا توجد أي قيمة لتلك النحلة الضائعة في الكون حتى ترجع لمهمتها التي خلقت من أجلها. فكيف بالإنسان المكرم صاحب العقل ؟!

\*\*\*\*\*\*\*\*\*

الإسلام دين يسر وسهوله وسعادة ورحمة..لا دين تشدد ومشقة.. واضع قوانينه وأحكامه رب البشر، القائل سبحانه في كتابه: [**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** **(14)**] الملك.

فالله سبحانه لم يشرع الشرائع لتشديد والعقوبة! بل شرعها للرحمة والهداية والسعادة وإنقاذ البشرية من ظلمات الجهل والضلال.. إلى نور الإيمان، وعدالة الإسلام، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة. قال تعالى: [**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** **(1)**] إبراهيم. قال ربعي بن عامر–رضي الله عنه- : " نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"

إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكا؛ فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع والدنيا، ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة ! كلا.. إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة، فإذا تم لها هذا.. فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، في غير إسراف ولا مخيلة وأن يكون مستعدا لنبذها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة\*.

وفي نقاط مجملة ومختصرة ، نسرد أهم الطرق الموصلة إلى الإسلام الصحيح:

1- اليسر: قال تعالى: [**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ .. (185)**] البقرة. قال : (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)217/1، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: (ما خير رسول الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله ) خ2[ 5775 ] قال النبي : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ) خ/1 [ 69 ] قال النبي : (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم) خ/1[ 2391 ] قال النبي : ( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) خ:/1-39 ومعنى الحديث: الغدوة: أول النهار، والروحة: آخر النهار، والدلجة: آخر الليل. وهذا تمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب. والله أعلم.

2- نفي المشقة والتشدد والتكلف: قال تعالى: [**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..(78)**] الحج، قال : (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا.مسلم:/2670. والمتنطعون: المتعمقون، المتشددون في غير مواضع التشديد. وعن أنس رضي الله عنه قال كُنا عند عمر فقال نهينا عن التكلف - خ2[ 6863 ]، ورأى النبي شيخا يهادى بين ابنيه فقال : "ما بال هذا قالوا نذر أن يمشي قال إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني وأمره أن يركب ) خ/1[ 1766 ]

3- أخذ الدين خطوة خطوة.. –وعدم أخذه جمله- وأن لا ينتقل إلى الخطوة التي تليها حتى يعمل بالأولى لضمان الاستمرار.فشرائع الإسلام كثيرة ومتعددة، لذلك أمر الإسلام أن يبدأ المسلم بالفرض ثم بالأفضلية من الأعمال، ثم الذي يليه والأولى فالأولى..

عن بن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي بعث معاذا رضي الله تعالى عنه إلى اليمن فقال: ( ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)خ/1 [ 1331 ]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا "/2 خ[ 4707 ]، قال رسول الله : ( إن الله قال: ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ) خ2[ 6137 ] وهذه الطريقة أفضل الطرق للاستمرار والمداومة على طاعة الله عز وجل. فالمشي على خطوة واحدة ثابتة، خير وأقوم وأثبت من المشي على خطوات كثيرة غير ثابتة.

4- المحافظة والمداومة على العبادة: قال : (أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل) خ2[ 5523 ]

5- التخفيف والاقتصاد –التوسط- في العبادة: فعقيدة أهل السنة والجماعة في العبادات: "الوسطية في كل اعتقاد وعمل" قال تعالى: [**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** **(27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** **(28)**] النساء. قال : (عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا) خ 1 / 1100 ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال لي رسول الله : ( يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت: بلى يا رسول الله، قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله.) خ/1[ 1874 ] ، وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله فقال: ( أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) خ/2 [4776 وعن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال:" أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي يتخولنا بها مخافة السآمة علينا) خ/1[ 70 ] السآمة: الملل. وعن أبي مسعود الأنصاري قال: " قال رجل يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال: ( أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)خ/1[ 90 ]، وفي رواية: (وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)خ/1 [ 671 ]، وعن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي يوجز الصلاة ويكملها" خ/1[ 674 ]، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: " إن كان رسول الله ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم" خ2[ 1076 ]

-يسقط التكليف عن العاجز عن أداء بعض شرائع الدين، إذا لم يستطع أدائها بجميع الطرق، قال تعالى: [**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا .. (286)**] البقرة. قال النبي : ( دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) خ2[ 6858 ]

-يبيح الإسلام المحظورات عند الضرورات الملحة. قال تعالى: [**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **(173)**] البقرة.

- يؤجر المسلم على كل عمل يعمله صغيرا كان أو كبيرا. قال تعالى: [**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)**]المزمل. قال رسول الله : (إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى )خ2 [ 6311 ] قال رسول الله : (يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف)خ2[ 7062 ]قال : (إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه) صحيح الجامع2/ 3986.

-أخذ الدين من جميع جوانبه، وترك الاقتصار على جوانب معينة. فالله تعالى أنزل الدين ليؤخذ كله فلا يترك للهوى .. فيأخذ بعضه ويترك بعضه! قال تعالى: [**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)**] البقرة.

-تنوع العبادات فالعبادات في الإسلام كثيرة جدا، من صلاة وصوم وحج وزكاه وصدقة، وبذل المعروف للناس، وبر الوالدين وكفاله الأيتام، والخلق الحسن مع الخلق، وصلة الأرحام والجيران، وإعطاء الهدية، والدعوة إلى الله تعالى، وتعلم العلم .... وقد عرف العلماء العبادة، وهي: اسم جامع كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التنوع من رحمه وعظمة الإسلام، حتى لا يمل المسلم ويشعر بالفتور والكسل، ليعبد الله تعالى وهو محبا للعمل. وبالنية الصالحة تتحول جميع العادات إلى عبادات.

-يحرم الإسلام كل ضار، قال : (لا ضرر ولا ضرار) صحيح الجامع2/ 7517. ويبيح كل نافع، قال : (احرص على ما ينفعك) صحيح الجامع2/ 665

ولا بد للمسلم أن يلتزم الصبر في عبادة الله تعالى. قال تعالى: [**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** **(65)**] مريم. وأن يحسن العمل، فالله تعالى لا يرضى عن كثرة العمل فحسب إنما يرضى عن العمل الحسن. قال تعالى: [**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** **(2)**] الملك.

إن التكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة، لا تتجاوز الطاقة، ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه، ولا تهمل طاقة واحدة من طاقاته إلا وتلبيها في يسر وفي سماحة و رخاء.. ومن ثم لا يحار ولا يقلق في مواجهه تكاليفه، يحمل منها ما يطيق حمله، ويمضي في الطريق إلى الله تعالى في طمأنينة وروح وسلام\*..

ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنسان هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله تعالى، من شأنها- ولا شك- أن ترفع شعوره وضميره، وترفع نشاطه وعمله، فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله، وكسبه وإنفاقه، وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله تعالى فيها. فأولى به أن لا يستعجل المراحل، وألا يتعسف الطريق، وألا يركب الصعب من الأمور، فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود طاقته. ومن شأنه كذلك.. ألا يستبيه القلق في أي مرحله من مراحل الطريق فهو يعبد الله تعالى في كل خطوة، وهو يحقق غاية وجودة في كل خطره، وهو يرتقي صاعدا إلى الله تعالى، في كل نشاط وفي كل مجال\*.

**التوازن في: الدعوة إلى الإسلام**

قال تعالى: [**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** **(33)**] فصلت. إن الدعوة إلى الله من أعظم الأعمال التي يجب أن يقوم بها المسلمون ومن أجلِّ القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، ومن أحسن الأقوال التي يتلفظ بها الإنسان، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وأصل من الأصول التي بنى الله تعالى عليها الحياة، فما من أمّه إلا ولها مرسلين إلى أن جاءت أمتنا هذه أمة الحبيب ، فكان خير نبي مرسل، أدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده وأدى ما عليه على أكمل وجه فصلاة الله وسلامه عليه، ثم خلف من بعده الصحابة رضوان الله عليهم فتحملوا تلك الأمانة العظيمة ونشروا الإسلام في جميع أنحاء الأرض وكانوا في دعوتهم سائرين على منهج قائدهم وقدوتهم محمد ، فبذلك سادوا الأرض وفتحوا البلاد فمدحهم الله تعالى وأثنى عليهم فقال عز وجل: [**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (110)**] آل عمران. فمن أراد الفلاح والنجاة فليسر على ما سار عليه محمد ، وأصحابه رضوان الله عليهم. قال تعالى: [**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** **(104)**] آل عمران.

لكن طريق الدعوة إلى الله تعالى طريق يحتاج إلى حكمة وحلم وصبر.. وتوازن أيضا. ولكي تؤتي الدعوة ثمارها الطيبة لابد من إتباع أسس معينة للسير في هذا الطريق.

أولا: العلم. قال تعالى: [**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)**] يوسف. لابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور، وحال المنهي كما قال عمر بن عبد العزيز: من عبد الله بغير علم كان يفسد أكثر مما يصلح. فإذا علم العبد أن إنكاره لمنكر معين يترتب عليه منكر أكبر فإنه لا يجوز إنكاره وإذا ترتب عليه إزالة معروف أكبر منه لا يجوز الإنكار. كذلك ينبغي قياس المصالح والمفاسد المترتبة قبل أن نأمر بالمعروف أو ننهى عن المنكر.

ثانيا: الرفق. قال : ( إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ) خ:1/375، مسلم: 2165 وقال : ( اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به) رواه مسلم/1828 وقال : ( إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) خ:1/278 وكان أصحب ابن مسعود رضي الله عنه إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون لهم: مهلا رحمكم الله مهلا رحمكم الله.

ثالثا: الصبر. قال تعالى على لسان لقمان الحكيم لابنه: [**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** **(17)**] لقمان.

فلابد من هذه الثلاثة: العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده ولابد أن يكون الداعية المسلم متميز عن الآخرين بأخلاقه ورحمته وهيئته ومعاملاته.. فهذه الصفات تورث المحبة في قلوب الآخرين، وتجعلها تتقبل أوامر الله عز وجل وتنتهي عن نواهيه بقلوب راضية.

فالدعوة إلى الله واجب كل مسلم "بما معه من علم" قال :(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم:49.ولا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: [**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** **(125)**] النحل، وأن يعمل لداعي إلى الله تعالى بما يدعو إليه، قال تعالى: [**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** **(44)**] البقرة. وترك دعوة الذي لا يستفيد من الموعظة، قال تعالى: [**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى** **(9)**] الأعلى.فعلى المسلم البلاغ فقط، وترك الأمر والنتائج إلى الله تعالى، فلا إكراه في الدين. ولا حساب لأحد إلا على رب العالمين.

والغاية من دعوة الناس. نشر الإسلام فلولا الدعوة إلى الله تعالى لما وصل إلينا الإسلام وما عرفنا شيئا عنه، ولنصيحة المسلمين، وإنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه، ولإشاعة العدل ومحو الظلم والفساد في الأرض، وخوفا على إخواننا من العقوبة في الدنيا والآخرة، ورجاء الرحمة والهداية والسعادة لهم. ولمحاولة تجميع المسلمين على كلمة واحده. وطمعا في هداية الناس. كذلك غيرة على انتهاك محارم الله تعالى. وتأدية لحق العلم الذي تعلمناه، قال : ( لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه ... وما ذا عمل فيما علم؟ ) صحيح الجامع2/ 7299.

**توازن الإسلام في: الجهاد**

لقد خلق الله تعالى الإنسان لعبادته، ولتحقيق عمارة الأرض، والخلافة فيها. والقيام بالعدل والحق، والسعي على صلاحها ونمائها.

والإنسان أهم عنصر على وجه الأرض، وبفقدانه يفقد كل ذلك الخير والصلاح. لذلك حافظ الإسلام على النفس البشرية أشد المحافظة، ووصى واهتم بها غاية الاهتمام، وسعى بكل جهوده لنشر السلام الذي يؤمن حياة الإنسان، وشدد وعظم قتل النفس البشرية، وبالغ في ذلك أشد المبالغة والزجر، ورتب أقبح وأشنع الوزر لمن أرد قتل الأنفس!

فمن تسبب أو أعان على قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أنقذ أو أعان على حياة إنسان فكأنما أحيا الناس جميعا. قال تعالى: [**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** **(32)**] المائدة.

وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الأنفس والأرواح. قال : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) متفق عليه:خ/6864،م/1678.

ولنفس المسلمة قيمتها العظيمة في الإسلام دون الأنفس الأخرى، فالنفس المسلمة تعيش كي تعبد الله تعالى، وتحقق الصلاح والخير في الأرض، وتلك هي منزلتها الرفيعة التي خلقها الله من أجلها. لذلك فإن حرمة النفس المسلمة عظيمة جدا عند الله. قال تعالى: [**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** **(93)**] النساء. قال : (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) السلسلة الصحيحة: 511. ولم يرتب الإسلام عقوبة أشد من ذلك.

وقد أقر الإسلام أن كل إنسان يعيش على الأرض، يحب الحياة ويكره الموت، لأنه دين الفطرة والتوازن.. بل لقد حذر الإسلام أصحاب العقول المريضة التافهة ممن يفضلون الموت ساعة الكرب والضيق قتل أنفسهم، قال : (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)خ/2 [ 5442 ].وقال : (ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وأما مسيئا فلعله أن يستعتب)خ/ 2 [ 5349 ]

ولما كان الإنسان هو العنصر الأساسي لنشر الخير في الأرض، نظم الإسلام حدودا، ووضع قوانينا لحياة الإنسان، يلتزم بها ليحقق الخير الذي أراده الله تعالى. فإذا تخلى الإنسان عن تلك القوانين والنظم التي وضعها الله تعالى، كان ما يفسد أكثر مما يصلح. بل قد يكون بذرة فساد وطغيان في الأرض، فعندئذ لا تحتاجه الأرض، وتتخلى عنه فإنما هو خلق ليسعى لصلاحها ونشر الخير فيها.. لا للفساد والعدوان عليها. فعندما يتصادم إنسان يريد الخير والصلاح للأرض، وإنسان آخر يريد الإفساد والطغيان في الأرض لابد للخير أن يصمد ويقاوم الشر ويرد الكيد والاعتداء والطغيان ولو كان الثمن أن يدفع حياته التي عظمها وشرفها الله من أجل تحقيق الأمن والسلام والإيمان في الأرض! ومن ذلك المنطلق.. فرض الجهاد.

والهدف من الجهاد تطهير الأرض من الباطل والشر ونشر الحق والعدل والخير والعزة والحرية للإنسان الذي يذل تحت أيدي السلاطين والطغيان قال تعالى: [**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** **(7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)**] الأنفال.

إن الحروب التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها- بالنسبة للمسلمين- مصادرة للأموال، وإبادة الأرواح، وإفناء المسلمين، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذي يهدفه المسلمون من هذه الحروب "هو الحرية الكاملة لناس" في العقيدة والدين " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا يحيل بينهم وبين ما يريدون أي قوة من القوات.

فالمسلون في عهد النبي لم يكونوا بادئين بالحروب وإنما بدأتها قريش، قال تعالى: [**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)**]التوبة. وقال : (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية)خ/2[ 6810 ]

فالإسلام دين رحمة وتسامح ووفاء وخلق الحسن.. وأعداء الإسلام يعلمون هذه الحقائق علم يقين. يقول غتافلوين: لم تعرف الأمة فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين، ولم تعرف الأمم ديناً سمحاً كدينهم"

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

نظم الإسلام فريضة الجهاد بكل توازن وعدل ووضع لها شروطا أهمها:

1- الدعوة للإسلام قبل بدء الحرب. قال الرسول : (لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم)السلسلة الصحيحة:6/293. إلا إذا بدئوا بالاعتداء فالواجب الدفاع عن النفس.

2- الوفاء بالوعد، والإعلام بنبذ العهد: قال تعالى: [**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** **(58) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ** **(59)** ]الأنفال. قال تعالى: [**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** **(4)**] التوبة.

3- الصلح خير: قال تعالى: [**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)**] الأنفال. وهذا أكبر دليل أن هدف المسلمين من الجهاد الحرية وإشاعة السلم والحق والعدل..

**4**- تحريم قتل النساء والأطفال والشيوخ: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال "نهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان" خ/2[ 2852 ]

5- تحريم الظلم والاعتداء: قال تعالى: [**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)**] البقرة.

6- الاستعداد والتوكل على الله تعالى: قال تعالى: [**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** **(60)** ] الأنفال.

إن غاية المسلمين أن ينتصروا ويعلوا كلمة الله تعالى وينشروا الحق والعدل في الأرض.لا الفساد والتعذيب واغتصاب النساء وإهانة الشيوخ والأطفال! فهل يستطيع أحدا أن يثبت أن المجاهدين المسلمين اغتصبوا امرأة واحدة أو عذبوا طفلا!

-ولقد وصى أبو بكر الصديق-رضي الله عنه- الخليفة الأول للمسلمين أول بعثة حربية في عهده، (بقيادة: أسامة بن زيد)، قال: "لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدورا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة وسوف تمرون على قوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم.له.  
-وكان الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- يوصي قائده على الجيش فيقول: "بسم الله على عون الله أمضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر، قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان وعند جمة النبضات وفي سن الغارات نزهو الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالربح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم."

هذه الوصايا في آداب الجهاد (الحرب) أسمى وأكمل وأبر وأرحم من كل ما يحتوي عليه تشريع البشر ولا يدانيها ما وصلت إليه قواعد القانون الدولي الحديث عامة والقانون الدولي الإنساني خاصة، ولا حتى آمال الفقهاء والكتاب.

\*\*

الإسلام دين عزة. لا يرضى أبدا أن يذل أبناءه ويتعرضوا للاعتداء ولابد إذا بدء أعداء الإسلام بالاعتداء أن يسعى المسلمين بكل ما أوتوا من قوة لرد كيد هم وليس هذا في الإسلام فحسب؛ بل في كل الديانات والقوانين الوضعية فهل عندما يجاهد المسلمون الأعداء يقال عنهم إرهابيون ؟!

قال تعالى: [**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)]** التوبة، قال تعالى: [**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** **(194)**] البقرة.

\*\*\*

حقوق الأسرى في دين الإسلام "دين الرحمة" :

إن ديننا الإسلامي هو دين الرحمة للبشرية جمعاء، كما أن رسول الله هو الرحمة العامة لهذه الإنسانية، مصداقاً لقول الله تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)**] الأنبياء. فلم تغفل شريعتنا الغراء أحكام الأسرى، بل بينتها وفصلتها استناداً لما ورد في كتاب الله تعالى من آيات، وما ورد في السنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة.

كيفية معاملة الأسرى:

في الوقت الذي كانت فيه الحروب الجاهلية لا تعرف أيسر قواعد أخلاقيات الحرب، ظهر النبي  بمبادئه العسكرية؛ ليشرِّع للعالمين تصوراً شاملاً لحقوق الأسرى في الإسلام.

وفي هذا العصر الحديث، الذي نرى فيه المنظمات الدولية قد شرَّعت بنوداً نظرية – غير مفعَّلة ولا مطبَّقة – لحقوق الأسرى، كاتفاقية جنيف، بشأن معاملة أسرى الحرب، ورعايتهم جسدياً ونفسياً.

وخير دليل على عدم تطبيق هذه الاتفاقيات، ما فعله الصرب بمسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفا، من مذابح يندى لها جبين البشرية، ولقد أنشأ الصرب معسكراتٍ أُعدت خصيصا لاغتصاب المسلمات. وما يفعله الصهاينة في فلسطين، وما فعله الأمريكان في العراق وأفغانستان والسودان والصومال من فساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، ومذابح جماعية للأسرى والضعفاء، وهتكٍ للأعراض الطاهرة، في معتقلات – سرية أو علنية - لا تعرف أي معنى لكرامة الإنسان.

في حين نرى رسولنا يشرِّع قبل هذه المنظمات بمئات السنين حقوقاً شاملة وجامعة للأسرى، أضف إلى ذلك أن النبي لم يجعل هذه الحقوق بنوداً نظرية بعيدة عن واقع الحروب – كما هو الحال في عصرنا - بل جعلها منهجاً عملياً، وطبقها بنفسه في غزواته، وطبقها الصحابة والتابعون - من بعدهم - في السرايا والمعارك الإسلامية.

وهذه هي حقوق الأسرى في الإسلام:

أولا: الأسير في يد الدولة:

اتّفق الفقهاء أنّ أسير الحرب ليس لآسره يد عليه ولا حقّ له في التصرّف فيه، وعليه بعد الأسر أن يسلمه إلى الأمير ليقضي فيه بما يرى. وليس له إلاّ أن يشدّ وثاقه لمنعه من الهرب. **وقد كان الرسول يمن على بعض الأسرى، ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، كما قال ابن القيم في (زاد المعاد).  
وليس لواحد من الغزاة أن يقتل أسيره بنفسه؛ إلا برأي الأمير اتفاقًا، إلا إذا خيف ضرره.**

ثانيا: الرفق بالأسرى والإحسان إليهم وإكرامهم:

**فقد أذاع النبي ، بيانًا عامًا صار قاعدة كلية في التعامل مع الأسرى، قوله**: (استوصوا بالأسارى خيراً) رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن . **فأصبح لزامًا على كل مسلم أن يعمم هذه الخيرية في كل مجالات معاملات الأسرى، سواء كانت خيرية مادية أو معنوية، وهي من جوامع كلم النبي .**

ثالثا: توفير الطعام والشراب والكساء لهم:

قال تعالى: [**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** **(8]**سورة الإنسان. (لما كان يوم بدر، أتي بالأسارى، وأتي بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه –أي يناسب حجمه- فكساه النبي إياه )خ/3008

**رابعا: تهيئة مأوى للأسير..**

**خامسا: عدم تعذيب الأسير وإكراهه:**

**وكيف يحض الإسلام على إطعامه وسقيه ويوفر له المأوى المناسب والكسوة المناسبة ويرتِّب الجزاء الكبير على ذلك ثم يستبيح تعذيبه ويهدر كرامته؟!**

يحرم الإسلام تعذيب الأسرى، ويرفض أهانتهم، ويقرر عدم إهمالهم،  **وتحريم تعذيب الأسرى يشمل عدم تعذيب الجرحى منهم بطريق أولى.**

**سادسا: محادثته والرد عليه وتلبية ما يريد:**

**أن يرد على استفساراته في حدود سياسة الدولة، وأن يلبوا رغباته في حدود الشرع؛ لأن تركه وإهماله بعدم الرد عليه نوع من الإهانة وإهدار الكرامة التي نهى عنها الإسلام في معاملة الأسير، وحوارات النبي مع الأسرى معروفة ومشهورة.**

**سابعا/ إعادة الأسير:  
تظل رعاية الإسلام للأسير قائمة منذ وقوعه أسيرًا في أيدي المسلمين إطعامًا وإسقاءً وكسوةً ومأوىً ومعاملةً طيبةً؛ حتى يعود إلى قومه ويتسلمه أهله.**

**بعد هذا البيان لكيفية معاملة الإسلام لأسرى الحرب أترك للقارئ الكريم باب التفكر في صفحة الواقع الدامية؛ ليقارن ذلك بما فعلته أمريكا وروسيا.. في أسرى المجاهدين المسلمين في كل مكان وصدق الله القائل..[ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)] الكهف.**

الأحكام النهائية للأسرى:

1- القتل لمجرمي الحرب، وقد أمر النبي بدفن قتلى المشركين، والنهي عن المثلى، ولم يترك جثثهم نهباً لوحوش الأرض وسباع الطير،-كما حدث في العراق وأفغانستان-

2- الفداء "الفدية" لمن يرجى منهم الخير، أو بمقابلة الأسرى المسلمين، عند الأعداء.

3- المن "إطلاق سراحهم"، وكان موقف النبي من أعدائه المنهزمين كريماً للغاية ونضرب مثلاً واحداً لهذا المعنى الإنساني النبيل :

لقد كانت آخر حرب للنبي مع قريش هي التي انتهت بفتح مكة للإسلام والمسلمين ثم التقى النبي مع هؤلاء الذين آذوه وعادوه واضطهدوا أصحابه وساءوهم سوء العذاب حتى أن منهم من مات تحت وطأة العذاب وضراوة الفتنة ... قال لهم: " ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا : خيراً، أخُ كريم وابن أخٍ كريم! قال لهم: " لا أقول لكم إلا ما قاله أخي يوسف [**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** **(92)**]يوسف "اذهبوا فأنتم الطلقاء" خ/ 3/345

إن هذا الخبر يعطينا صورة رائعة للمقدرة الفائقة عند المسلمين الصادقين على الجمع بين القوة في الحرب, والتمثيل العالي لمكارم الأخلاق حتى مع المحاربين.

هذا قليل من كثير ونقطة من محيط الإسلام الواسع حتى يتبين الرشد من الغي والحق من الضلال وحضارتنا من حضارتهم، وليفهم كل ذي عقل ولب.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ومن الجهل الفادح، بل والظلم البين أن يتهم هذا الدين، بالتطرف والإرهاب والوحشية.. بل الغرب والكفار هم رواد الإرهاب الحقيقي في الأرض. قوم يدمرون البيوت، ويبيدون الحضارات، ويعتدون على الأعراض، ويسفكون الدماء، ويمزقون الأشلاء.. لا رحموا طفلا ولا شيخا.. أين الحقوق الإنسانية !! أين الحرية!! أين المساواة.. لطالما واروا سوءاتهم بتلك اللافتات البراقة الخادعة "باسم حقوق الإنسان- والحرية.."

الإسلام لا يقر أبدا بالإرهاب، بل إن السلام والأمان مأخوذ من الإسلام، والإسلام بريء من كل قول أو عمل.. ينافي الأحكام التي وضعها، فالتفجير مثلا.. ينافي تماما نظم وأحكام الجهاد من الدعوة قبل الحرب، وعدم قتل النساء والأطفال. وتعمد قتل النفس، والغاية الأولى من الجهاد، ليس الاستشهاد! فالله تعالى لم يخلق الإنسان ليُميت نفسه! إنما ليكون أداة لنشر الحق والعدل، وإذا قتل أثناء دفاعه عن الحق وليس بإرادة منه فهو الشهيد حقا. بل يجب عليه أن يقاوم ويجاهد نفسه على انتصار الحق مع بقاء حياته فإنما الغاية الأولى من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا..

جاء رجل إلى النبي ، فقال: الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: ( من قاتل لتكون كلمة الله هي الله العليا فهو في سبيل الله)خ/[ 7020 ]

إن أعداء الدين جميعا .. يعلمون جيداً أن سبب غلبة الإسلام ليس التفوق المادي وكثرة السلاح والجيوش والعدد، وإنما السبب هي القيم والأخلاق التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي، ويعرفون أن منبع هذا الفيض رسول الله الذي هو المثل الأعلى لهذه القيم، كما عرفوا أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن عن طريق استخدام السلاح فقط، فقرروا أن يشنوا حرباً دعائية واسعة ضد الدين من ناحية الأخلاق، وأن يجعلوا شخصية الرسول أول هدف لهذه الدعاية الكاذبة الخاطئة‏، فشوهوا صورة الإسلام ورسول الإسلام بالإرهاب والوحشية والقسوة وشوهوا قادة الإسلام، بل وكل من يمد لدين الإسلام بصله! ووصفوهم جميعا بالتخلف والرجوع والشدة والغلظة.. فحاربوا المسلمين بتلك الادعاءات من ناحية، ومن ناحية أخرى بجلب الفساد والشر والفواحش لهم لإفسادهم ليردوهم عن دينهم. قال تعالى: [**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** **(217)**] البقرة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ولقد رغب الله تعالى المؤمنين في الجهاد –الذي وضعه الإسلام الصحيح- وحثهم عليه، ليعلوا كلمة الله تعالى في الأرض، ورتب لهم على ذلك أفضل الجزاء والأجر، فحين يعلم المؤمن عظمة الأجر الذي ينتظره في الحياة الأبدية الأخرى، وقبل ذلك رضا الله تعالى، يتخلى المؤمن عن كل محبوب له في الدنيا ليحقق ما يحبه الله تعالى ثم لتقر عينه بنشر الإسلام الذي هو لحمه ودمه..

قال تعالى: [**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** **(169) فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** **(170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** **(171)**]آل عمران.قال : (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة)خ/2 [ 7025 ]

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

كذلك فتح الله الرحيم باب التوبة لأعداء الدين. قال تعالى: [**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ** **(38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** **(39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)**] الأنفال. قال : (إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا) السلسلة الصحيحة: 53.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فيجب على الأمة الإسلامية أن تستخدم كل طاقاتها وإمكانياتها وأموالها وقدراتها.. لخدمة هذا الدين فما أحوج العالم ليتعرف على الإسلام الحقيقي المتوازن.. والكل سيسأل بين يدي الله جلا وعلا بحسب قدراته واستطاعته. عبروا ولو بكلمة.. عبروا عن انتمائكم لهذا الدين بوقتكم وجهدكم ..

قال تعالى: [**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** **(51) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** **(52)**]غافر.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: الزهد**

الإسلام دين عظيم يحب معالي الأمور ويكره فسافسها، فهو دين همه وعلو لا يرضى بالدناءة والتوافه من أمور الدنيا. فهو ينظر إلى نعيم الدنيا أنها نعيم غرور ونقص وخلل لذلك ترفع عنها، وزهد في متاعها الزائل فما عند الله خير وأبقى والعاقبة للمتقين.

والإنسان المؤمن كبير في تصوراته واعتقاداته.. كبير في طموحاته وأعماله.. كبير على الدنيا الصغيرة المحدودة. فهو يتطلع لحياة كاملة أبدية لا فيها حزن ولا نصب ولا هم ولا تعب.. فيسعى ليقضى حاجاته الضرورية في الدنيا، دار الممر ليصل إلى دار الاستقرار\*.

فالدنيا.. دار مليئة بالتعب والمشقة والهموم والآلام وكلنا حتما سيتجرع من كأسها المر، ويتذوق حرارتها المؤلمة!

ولما كان الإنسان المؤمن عاقل وكبير في تصوراته نظر لدنيا نظرة تختلف تماما عن نظرة طلابها لها..

إنها دار فانية.. فمهما أخذنا منها فلن نحصل إلا على أقل القليل ومهما سعدنا في أيامها فبعدها المر الأكيد ومهما أعطتنا من خيرها فإلى زوال محتوم.

والإنسان إذا عاش يتطلع إليها، وينتظر السعادة والمتاع فيها فسيعيش أتعس وأصعب حياة لأنه ربط سعادته بدار لا أمان لها! فمن ذا الذي طابت له الدنيا بأكملها!

كذلك.. سيعيش في صراع وحقد وحسد دائم مع طلابها، فهي صغيرة ومحدودة لا تسع الجميع فمهما كبرت في أعين طلابها فهي في الحقيقة صغيرة عند أصحاب العقول الكبيرة!

إن أي إنسان يعيش على هذه الأرض يطلب السعادة والعاقل من يبحث أولا عن مصدر السعادة، ثم يحدد الطرق الموصلة إليها ليسعى للوصل لها، أما إذا لم يدرك أين مصدر السعادة فسيتقلب يمينا ويسرة يبحث عنها فإن وجد السعادة مرة فستهرب منه مرات عديدة.

لذلك.. كان من محاسن دين الإسلام "الزهد" وهو ليس من الواجبات إنما لمن أراد أن تكمل سعادته وتكبر..

فيزهد المسلم في الأمور الصغيرة التافهة.. ويتعلق بالله القادر ليتحقق له كل ما يريد، ويترك التعلق بالبشر والدنيا فيرتفع عن الذل للمخلوقين ليصل إلى العزة بتعلقه لله الواحد الذي خلقه.

والزهد في الإسلام يختلف كل الاختلاف، عن الزهد في الديانات والشرائع الأخرى. فالزهد في الإسلام لا يعني الرهبانية والتبتل والانقطاع عن الدنيا والناس! وترك كل متع الحياة ! كلا.. الإسلام دين وسطية وتوازن وسعادة ومتاع ولنا في ذلك قدوتنا الأولى والزاهد الأول رسولنا قال: (إني أتزوج النساء، وأنام وأقوم وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني) متفق عليه: خ/9-89، م/1401. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم رهبانا في الليل، فرسانا في النهار..

فالزهد في الإسلام.. لا يضر البدن والروح، والأسرة والمجتمع.. بل الزهد الحقيقي أن يحافظ المسلم على كل نافع ومفيد.. ويترك ما يضره ومالا ينفعه.

قال : (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) صحيح الجامع:1/922

والزهد في اللغة: هو الأمر القليل الذي لا يؤبه له، وسعر زهيد، إذا كان قليلا ليس مثله مما يلتفت إليه، فالزهد في الدنيا ألا تكون الدنيا في القلب، إنما تكون في اليد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله تعالى- وهو أصح ما قيل في الزهد؛ لصحة اجتماعه مع ما جاء في الأحاديث، وكذلك ما دلت الآيات، وما كان عليه حال الصحابة وحال السلف الصالح، رضوان الله عليهم- قال:" الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة"

فمن استعان بشيء من المال أو اللهو المباح على قوته في الحق، فلا يخرج عن وصف الزهاد؛ لأنه لم يفعل ما لا ينفعه في الآخرة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

قال تعالى : [**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** **(131)**] طه. وقال : (من كانت الآخرة همة، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينية، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له) صحيح الجامع:2/26510

فمن أراد حب الله تعالى وحب الناس، وأراد السعادة في الدنيا والآخرة، والغنى والراحة والاطمئنان.. فليلتزم بزهد الإسلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: التوكل مع الأخذ بالأسباب**

المسلم لا يرى التوكل على الله تعالى في جميع أعماله واجبا خلقيا فحسب، بل يراه فريضة دينية وجزء من عقيدته^.

والتوكل: عمل وأمل، مع هدوء القلب وطمأنينة النفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن يطرح أمره كله لله عز وجل، مع بذل الأسباب والعمل^.

والمسلم إذ يؤمن بسنن الله تعالى في الكون، فيعد للأعمال أسبابها المطلوبة لها، ويستفرغ الجهد في إحضارها، ولا يعتقد أبدا أن الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض، وإنجاح المساعي؛ بل يرى وضع الأسباب أكثر من شيء أمر الله تعالى به يجب أن يطاع فيه كما يطاع غيرة مما يأمر به وينهى عنه، أما الحصول على النتائج، والفوز بالرغائب فقد وكل أمرها إلى الله تعالى إذ هو القادر على ذلك وحده دون غيره^.

ومن هنا كانت نظرة الإسلام إلى الأسباب: أن الاعتماد عليها وحدها واعتبارها هي كل شيء في تحقيق المطلوب شرك، لأن العبد ليس خالق أعماله ولا محقق مكاسبه وأرباحه بنفسه، كذلك ترك الأسباب المطلوبة لأي عمل وإهمالها وهو قادر على إعدادها معصية، وإنما المسلم إذ يقول بوجوب الاعتماد على النفس في الكسب والعمل.. يريد بذلك أن لا يظهر افتقاره لأحد غير الله تعالى وحده^.

والمسلم إذ يعيش هذه العقيدة من التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس، يغذي عقيدته هذه، وينمي خلقه ذاك بإيراد خاطره من وقت لآخر إلى الآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية\*.

قال تعالى: [**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** **(2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** **(3)**] الطلاق.

والتوكل مع الأخذ بالأسباب، كجناحي طائر، لا يقوى على الطير بواحد منهما بل لابد أن يطير بكليهما حتى يستطيع الوصول.

وكثير من الناس لا يدرك هذه الحقيقة.. فالبعض يعتمد اعتمادا كليا على الأخذ بالأسباب.. اعتمادا قد ينافي كمال الإيمان، بل يوقعه في بعض الأحيان في الشرك !! لتعلقه بغير الله تعالى، واعتقاده أن ذلك السبب هو النافع أو جالب المصالح والخير! وعلى النقيض من ذلك فهناك أناس أيضا يدّعون التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، مع ترك جميع الأسباب!! فيترك نفسه بلا علاج ولا عمل! فيهلك نفسه التي بين جنبيه، لسوء تصوره، وقصر علمه عن التوكل^.

وكلا الطرفين خارج عن الاعتدال.. وتوازن دين الإسلام.

والتوكل مع الأخذ في الأسباب سنة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى لموسى عليه السلام: [**فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ** **(23)**]الدخان، كذلك لما قيل له [**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** **(20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)**] القصص، خرج عليه السلام، وقال يعقوب لبنه يوسف عليهما السلام: [ **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** **(5)**] يوسف، وقال يعقوب عليه السلام لبنيه خوفا عليهم : [**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** **(67)**] يوسف، وقال تعالى : [**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** **(15)**] الملك، وقال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71)**]النساء، وقال تعالى: [**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)**] الأنفال، وقال تعالى: [**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** **(10)**] الجمعة. وقد قال تعالى لنبيه: [**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** **(159)**] أل عمران، فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا في التوكل، لما خص الله تعالى به نبيه!!

وقد ظاهر رسول الله بين درعين –أي: لبس احدهما على الأخر- وشاور الطبيب، واختفى في الغار.. وأمر بغلق الأبواب، ففي الصحيحين من حديث جابر-رضي الله عنه- أن النبي قال: (أغلق بابك) خ/3280-م/2012.

وقال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: (أعقلها وتوكل) 2517حسنه الألباني في صحيح الترمذي. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى { **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** **(197)** } البقرة) خ/1[ 1451 ].

وقال : (يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم ) صحيح الجامع/ 7934، قال : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)خ/2 [ 5354] ، قال : (إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت: وما السام قال الموت)خ/2 [ 5363 ].

قال رسول الله : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)خ/2[ 5380 ] وفي رواية: (لا عدوى ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي يا رسول الله : فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: فمن أعدى الأول)خ/2[ 5387]

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

كذلك لا ينبغي للإنسان أن يستسلم وينتظر هداية الله تعالى له، إنما عليه أن يبحث عن أسباب الهداية ويسعى لطرق الموصلة إليها ويجاهد نفسه بالعلم والعمل.. قال تعالى: [**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)**] العنكبوت.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ومن أجمل وأروع صور التوكل على الله تعالى تلك الطيور الصغيرة المبدعة التي فوضت أمرها كله لله تعالى مع أخذها بالأسباب. قال : (لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا و تروح بطانا ) صحيح الجامع/5254 أي: تخرج صباحا لتبحث عن رزقها، وتطير هنا وهناك متوكلة على الله تعالى فتعود إلى أوكارها ممتلئة البطن لحسن توكلها على الله تعالى ثم بسعيها.

قال ابن عقيل: يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل !! وأن التوكل هو إهمال العواقب، واطراح التحفظ.. وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ.

ولا أجهل ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء، إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب والسعي.. وقلبه ساكن مفوض إلى الله وحده، منع أو أعطى فالله تعالى لا يتصرف إلا بالحكمة والرحمة^..

فالخلة التي يحبها الله تعالى ويحب أهلها هي التي ينبغي أن يحرص عليها كل مسلم بل هي التي تميز المؤمنين\*. قال تعالى: [**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** **(160)**] آل عمران.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: العلم**

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية لأنه من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة متخلفة عن ركاب العلم، والناظر إلى القرآن الكريم يرى في وضوح أنه ذاخر بالآيات التي ترفع من شأن العلم وتحث على طلبه وتحصيله فأول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة، قال تعالى: [**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** **(1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** **(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** **(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** **(4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** **(5)**] العلق. ويجعل القرآن الكريم العلم مقابلا للجهل والضلال^ قال تعالى: [ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** **(9)**]الزمر، والشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى رسوله أن يطلب منه الزيادة؛ هو العلم قال تعالى: [ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** **(114)**]طه، ورتب الله تعالى لطالب العلم عظيم الأجر والثواب ورفع الدرجات.. قال تعالى: [**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)]** المجادلة.

لقد جاء الإسلام "منهجا للحياة" ليرقى بهذه الأمة، في جميع المجالات وليحقق الصلاح وعمارة الأرض. ففتح جميع أبواب العلم والمعرفة فيما يعود بنفع للفرد والمجتمع والأمة.. بل وللعالم أجمع.

ولقد دعا الرسول بتعلم العلم الصالح الذي هو أساس العلم وأفضله وذروة سنامه، وبه صلاح الدنيا والآخرة، والباب الرئيسي للوصول إلى جميع العلوم الأخرى .

والعلم يكون أولا.. فلا ينفع أي عمل بدون علم ! وقد بوب البخاري في كتابة: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: [**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)**] محمد، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وقال جل ذكره: [**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** **(28)**] فاطر، وقال تعالى: [**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** **(43)**] العنكبوت. وقال : (من يرد الله به خيرا يفقهه، وإنما العلم بالتعلم) خ:1

وطلب العلم واجب وفرض على كل مسلم. قال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) صحيح الجامع:2/3913. فعلى المسلم أن يجاهد نفسه في تعلم العلم ويصبر ويبذل ما في طاقته للوصول إلى العلم الصحيح.. الذي يقيم به عباداته. ويتوجب عليه، بعد أن يتعلم أن يعلم الجاهل. قال النبي : (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم)خ/1

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

والعلوم الأخرى لها أهميتها وضرورتها في الإسلام، بل يحث ويثيب عليها، متى كانت تنفع الإسلام والمجتمع، وفي حدود الشرع.

* قال ابن عباس –رضي الله عنه- : كان ناس من أسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله فدائهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، وبذلك شرع الأسارى يعلمون غلمان المدينة "القراءة والكتابة" وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه.

فقبول الرسول تعليم "القراءة والكتابة" بدل من الفداء في ذلك الوقت الذي كان فيه بأشد الحاجة إلى المال! يرينا سمو الإسلام في نظرته للعلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما أنزل من كتابه: [**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**] العلق، واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان فضلة ومنزلة العلماء.. وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية، وإشاعة القراءة والكتابة.. وأن السبق في هذا لإسلام^.

* كذلك يفتح الإسلام الباب لتعلم اللغات الأخرى للفائدة، فعن زيد بن ثابت –رضي الله عنه- أن رسول الله أمره أن يتعلم كتاب اليهود –أي لغته- ليقرأه على النبي إذا كتبوا إليه. (خ)، فبلغ ذكاءه وهمته –رضي الله عنه – أن تعلمه في خمسة عشر يوما!! وبهذا الخبر يتضح أن للترجمان مكانة رفيعة في الدولة الإسلامية^ .

وتبقى اللغة العربية الأصل فهي لغة القرآن.. فلا ينبغي الانحياز عنها وتركها واستبدالها بألفاظ أخرى أعجمية! فإن تعلم اللغات الأخرى لا يعني ترك اللغة الأصلية ونبذها!! وإنما تعلم تلك اللغات يكون للفائدة والضرورة فلا أجمل ولا أفضل ولا أرقى من لغتنا العربية.

* وتعلم الحساب والعدد.. له أهميته البالغة في الإسلام، لمعرفة أوقات الصيام والحج والزكاة وتقسيم الميراث والديات. قال تعالى: [**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** **(12)**] الإسراء.
* كذلك تعلم الهندسة والطب والصناعة والزراعة.. لها مكانتها العالية في الإسلام، فلا تقل أهميتها عن غيرها من العلوم، لما فيها من صلاح وعمارة للأرض، وتوفير وتحقيق الحياة عليها. قال تعالى: [**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)**] الملك.
* والإسلام يشجع أيضا ويحث على الاختراع والابتكار والاكتشاف.. قال تعالى: [**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** **(20)**]العنكبوت، فالآية الكريمة تأمر بالسير والتقلب في أرجاء الأرض واكتشافها والبحث عن معجزات نشأتهم، وقال تعالى: [**سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)**] فصلت، وقال تعالى في مدح المؤمنين: [**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** **(191)**] آل عمران، كل ذلك يدعوا إلى البحث والاكتشاف والتفكر والتأمل في معجزات الكون، وخلق الإنسان .. فذلك الاكتشاف وذاك التأمل والتفكر ينتج عنه تقوية الإيمان بالله الواحد الأحد، ويدعو إلى صلاح الأرض والانتفاع بخيراتها المكنونة.
* والإسلام.. أصل للحضارات بأنواعها وقد حقق المسلمون في القرون الوسطى أعلى وأفضل الحضارات.

وقد يظن بعض الناس أن الحضارة الغربية انتصرت على الحضارة الإسلامية، ولو عادوا لأي كتاب من كتب التاريخ ليقرؤوا ماذا فعل المسلمون في القرون الوسطى وكيف كان الوحل والطين مخيماً على ايطاليا وفرنسا ولندن .. وما عرفت الحضارة الغربية أصول الحضارة إلا على أيدي المسلمين^.

لقد كان الفتح الإسلامي للأندلس.. منارة حضارية في أوروبا كلها فقد أسهمت المعارف الإسلامية وآدابها في بث روح حضارية جديدة في أوروبا مما كان له بالغ الأثر في نهضتنا المعاصرة، وبالاستفادة من علوم المسلمين تمكن كريستوفر كولومبس من اكتشاف أمريكا.

وقد أقر جوستاف لبون في كتابه حضارة العرب بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية فقال: "كان تأثير العرب "يقصد المسلمين" في الغرب عظيمًا وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا."

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فالعلم إذا مكتسب. قال تعالى في أول آيات أنزلت من القرآن : [**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)**]العلق، قال : (إنما العلم بالتعلم).

هذا هو توازن الإسلام. يبيح جميع العلوم النافعة في حدود الشرع الإسلامي، ويحث ويثيب عليها، ويجعل أهمها وأعظمها وبدايتها : العلوم الدينية، ليسمو بالروح قبل سمو الجسد.

يقول المفكر الشهير اشبنكنـز: إن للحضارات دورات فلكية فهى تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة أوشكت على الشروق فى أروع صورة، ألا وهى حضارة الإسلام الذى يملك وحده أقوى قوة روحانية عالمية نقية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في : المعاملات**

عجبت لمن سار نحوى الهوى \*\*\* كسير الفراشات نحو البريق

وإســـــلامنا فيه إعزازنـــــــا \*\*\* وفيه تنـــــال جميع الحقـــوق

**الإسلام دين الأخلاق**

قال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) صحيح الجامع:1:2349 ومن ثم زكى الله تعالى نبيه ، فقال: [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** **(4)**] القلم. وقال تعالى: [**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** **(128)**] التوبة.

فالغاية الكبرى من إرسال محمد بدين الإسلام. هي تزكية وتطهير النفوس باطنا وظاهرا، قال تعالى: [**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** **(151)**] البقرة.

وجميع العبادات ترتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق بل هي المحرضة والمعينة على اكتساب الخلق الحسن، مع الله تعالى والناس جميعا.

قال تعالى عن الصلاة: [**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)**]العنكبوت.

وقال تعالى عن الزكاة: [**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** **(103)**]التوبة.

وقال تعالى عن الصوم: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** **(183)**] البقرة. قال : (إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم) متفق عليه:خ/4-88،م/1151. وقال : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) خ:4/99.

وقال تعالى عن الحج: [**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)**] البقرة.

تلك هي أركان الإسلام. وكذا الحال في جميع العبادات والمعاملات. جميعها مبني على حسن الخلق والأدب الرفيع، والذوق السامي. قال : ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) خ /1:10 وقال : ( قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)خ:13/1

ولقد انتشر الإسلام بين أرجاء العالم بالخلق الحسن، والرحمة والسماحة، وما انتشر بالسيف والغلظة.. يقول "غتافلوين": لم تعرف الأمم فاتحين راحمين متسامحين كالمسلمين، ولم تعرف دينا سمحا كدينهم. وأعظم برهان يصدق –أن الإسلام لم ينشر بالسيف- أن أقوى دول الأرض وأكبرها لا تستطيع أبدا أن تنشر دياناتها بالسيف، مع كل ما تملك من قوة وعتاد وجيوش!

إن الديانات التي يتحاكم إليها البشر، محلها القلب ومن المستحيل أن تتغير القلوب بالسيوف والجيوش! فقد تتغير السلوكيات والمظاهر الخارجية.. أما القلوب فلا سلطة لأحد من البشر على قلوب البشر!! ولا يغير القلوب إلا عقيدة تتمكن فيها فتسيطر على سكناتها وحركاتها وجميع تقلباتها.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

إن الإسلام يربط مجتمعة برابطة واحدة هي: رابطة التوحيد والعقيدة- حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان، واللغات والألوان، وسائر الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان\*، قال تعالى: [ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** **(13)] الحجرات**، قال تعالى: [**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** **(10)**]الحجرات. وقال : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه: خ/10-367،م/2586. وقال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)خ:13/1، قال : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله) م/.2564.

ومن الآداب التي تقوم عليها المعاملات الإسلامية: الاعتراف بالجميل وبذل الهدايا، قال تعالى: [**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)**] النساء، وقال تعالى: [**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** **(60)**] الرحمن،قال (تهادوا تحابوا ) صحيح الجامع1/ 3004. التواضع: قال : (ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) م/ 2538، العفو وحسن الخلق: قال تعالى: [**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** **(34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** **(35)**] فصلت، الاحترام وحفظ الأعراض والأسرار واللسان: قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)**] الحجرات.قال : (أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال صلى الله عليه وسلم: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) م/2581 ، مساعدة المحتاج، قال : ( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)خ/2 [ 5038 ] قال : ( أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني)خ/ 2[ 5058] بذل المعروف والنفع للجميع. قال : ( كل معروف صدقة)خ/ 2[ 5675 ] إكرام الضيف والجار. قال رسول الله : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)خ/2 [ 5672 ].

والإسلام يأمر بالصدق والأمانة والعدل والرحمة، وينهى عن الكذب والظلم والخيانة، ويحث على بر الوالدين وصله الأرحام والجيران والأصدقاء، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف، والفقير والمسكين، واحترام الكبير وتوقير العالم ورحمه الصغير، وكفالة الأيتام والأرامل، وإدخال السرور على المسلمين وإطعام الطعام، وإلانة الكلام، وإفشاء السلام، والتيسير على المعسرين، ومعاونة المحتاجين، والتنفيس عن المكروبين، وعيادة المرضى، وتلبية الدعوة، والزيارة الخالصة لوجه الله تعالى، وإتباع الجنائز، والذب عن عرض المسلم وحفظ كرامته، ومراعاة مشاعره وأحاسيسه، وغيرها الكثير..

كذلك من الضمانات التي يضعها الإسلام للمجتمع المسلم: البينة والعدل، قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** **(6)**] الحجرات، وقال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** **(12)**] الحجرات، والصدق في القول والوعد. قال : ( آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)خ:33/1 الاستئذان : قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27)**]النور، الشورى والنصح والتعاون.. قال تعالى: [**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**] آل عمران، قال تعالى: [**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)**] المائدة، المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل فرد أن حقه منوط بحكم شريعة الله تعالى لا بإرادة الحاكم ولا هوى حاشية، ولا قرابة كبير.. قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)**] النحل. قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)**] النساء.حقوق الإنسان كاملة: قال : (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) م/2564.

ثم إن المعاملات الإسلامية تربي المجتمع على النظافة والعفاف.. فلا تشيع فيه الفاحشة والإغراء، ولا تروج فيه الفتنه، ولا تتبع فيه العورات، ولا تنتهك فيه الأعراض\*، قال تعالى: [**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** **(33)**] الأعراف. وفي مثل هذا المجتمع يأمن الجميع على دينهم وأعراضهم وأموالهم.

ومن جانب آخر ينظم الإسلام ويوازن المعاملات مع غير المسلمين. فيأمر بمحاورتهم ومجادلتهم بالحسنى إلا الذين ظلموا منهم، قال تعالى: [**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** **(46)**] العنكبوت. والوفاء بالوعد والعدل بينهم ولو كان الظالم مسلما والمظلوم كافرا.. قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)**] النحل، إعطائهم الأمان للمسالمين منهم. قال تعالى: [**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** **(8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** **(9)**] الممتحنة، الإحسان في معاملتهم والرفق بهم. قال تعالى: [**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ..(83)**] البقرة. وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي فمرض فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له: ( أسلم )، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبي وهو يقول: ( الحمد لله الذي أنقذه من النار)خ/1[ 1290 ]، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ، فاستفتيت رسول الله قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأ صل أمي قال: ( نعم صلي أمك)خ/2 [ 2477 ] .

ورغم كل تلك المعاملات الحسنة مع غير المسلمين، فإن الإسلام يحرم موالاه ونصر وحب الكفار. قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** **..(144)**] النساء.

كذلك يأمر الإسلام بالمعاملة الحسنة مع الحيوان. قال : (بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر) خ/1[ 2334 ]، قال النبي : (ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة)خ/2[ 5666 ] قال : (إن الله محسن يحب الإحسان فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته ثم ليرح ذبيحته) صحيح الجامع1/ 1824. قال : (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة ) صحيح أبو داود للألباني2/ 2221. قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت) صحيح الجامع1/ 3374. و(لعن رسول الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا)خ:9/554،م:1958. الغرض: الهدف، والشيء الذي يرمى إليه. ومرَّ على حمار قد وسم وجهه فقال: (لعن الله الذي وسمه) م:2117 وقد (نهى رسول الله أن تصبر البهائم) خ:9/533،م:1956 تُصبَر: تحبس للقتل.

هذه أهم معاملات الإسلام باختصار شديد، فالمعاملات الإسلامية لا تحصر في كتاب واحد! وهذا توازن الإسلام في المعاملة مع جميع الخلق.. بالخلق الحسن والعدل.. وهذا هو الإنسان المسلم الذي يحب الخير والحق لجميع الخلق. قال : (من الشجر شجرة تكون مثل المسلم، وهي النخلة) خ/2 [ 5133 ].

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في: المال**

المال نعمه من نعم الله تعالى التي أنعم بها على عبادة، ليتمتعوا ويشكروه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى..

ونظرة الإسلام للمال ليست مقتصرة على الفرد فحسب، بل إن المال مال الله تعالى أعطاه الله للإنسان ليصلح به حياته على الأرض، وليكون عونا له على طاعة الله عز وجل وعمارة الأرض.

فإذا ما انفق المسلم ماله بتوازن وحسن تصرف حقق مقصود الله تعالى في الأرض، وعاشت الخليقة في أمن وأمان، وسعه ورغد من العيش، أما إذا اختل توازن تصريف المال.. اختلت كذلك الأرض، وانتشرت الفوضى، وعاث الشر والفساد..

فعندما حرم الإسلام السرقة والنهب، وكره التسول وسؤال الناس.. فتح باب العمل، وأوجب زكاة الأموال، وهي صدقة تأخذ من أغنيائهم- بطيب نفس- فترد على فقرائهم، كذلك أرشد الله تعالى عبادة المؤمنين وحثهم على الصدقة بطيب نفس، وأجزل لهم على ذلك خير الجزاء. وبهذه الطرق الصحيحة تجتمع الأمة، وتصفوا النفوس، ويعيش المجتمع في أمن وراحة، لا يحمل حقدا ولا غلا ولا حسدا..

بخلاف القوانين والنظم التي وضعها البشر للبشر!! وجميعها تدعوا لظلم ونشر البغضاء والحقد، واحتكار الأموال، بل وللسرقة والنهب، فجاء الإسلام لينظم ويقسم المال بعدل واتزان.. فأوجب الزكاة، وحث على العمل للجميع، بل وألزم الدول الإسلامية بأن تتكفل الفقراء والمساكين.. وتجعل لهم حظا من المال.. بدون ظلم لأحد ولا اعتداء على مال الذي يسعى ويجوب البلاد ويكد ويتعب ومساواته بالذين يجلسون على الأسرة لتصل إليهم الأموال بيسر وسهوله!!

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

والمال.. أداه للخير كما يمكن أن يكون آداه لشر. إذا لم يتم صرفه بالحكمة والعقل. لذلك بين الإسلام أفضل الطرق لإنفاق الأموال وهو طريق الوسطية والتوازن.

فلا يجوز للمسلم أن يمسك ماله ويمنع الخير عن الناس، كما لا يجوز له أن ينفق جميع ماله ويعيش بدون مال! قال تعالى: [**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** **(29)**] الإسراء. ولا يجوز للمسلم إعطاء المال لسفهاء والحمقى حتى لا يهدر ويضيع المال بدون حق. قال تعالى: [**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا** **(5)**] النساء، كذلك طمئن الله تعالى عبادة بأن الله الواحد الرازق وعنده خزائن السماوات والأرض، ينفق كيف يشاء ويعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء. وكل ذلك بالعدل والحكمة والرحمة.. فهو وحده المتكفل بأرزاق جميع العباد، فلا يهتم الإنسان ولا يقلق.. فرزقه مكتوب له ولن ليصل لأحد غيره، قال تعالى: [**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** **(30)**] الإسراء. فلا يسعى الإنسان لتحصيل المال من الأوجه المحرمة أو قتل الأنفس خوفا من الفقر والعيلة. قال تعالى: [**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** **(31)**] الإسراء.

وخط التوازن في ذلك. قول الله تعالى: [**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)**] سورة الفرقان. أي: يلتزموا الوسطية والاتزان في الإنفاق، بلا إسراف فيضيع ويهدر المال في غير حقه، وبلا إمساك وبخل، فيحجب مال الله تعالى وحقه عن خلقة ولكن.. الوسط بين هذين الطرفين، هو توازن الإسلام في المال.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

وقد أمر الله تعالى عبادة بالزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، وكما هو معلوم أن المجتمع تختلف درجات حالته المادية فمنهم الفقير والمسكين وذا الحاجة والعاجز.. فجاء الإسلام لينظم حق لؤلئك ليعيشوا حياة شريفة مطمئنة.

فالإسلام دين مساواة و أخوة .. الفقير أخٌ للغني، ولا فضل لأحد منهم على الآخر ولا ينبغي أبدا أن يذل الفقير حتى يحصل على المال !!!

من هنا.. كان مبدأ الزكاة، والزكاة: أموال تأخذ من الغني وتعطى للفقير، وهي تطهير وحفظ لمال الغني، كما أنها شكر لله تعالى على تلك الأموال.. ولابد أن تعطى عن طيب نفس.. قال تعالى: [**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)**] التوبة. وقال تعالى: [**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاِبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** **(60)**] التوبة. وعن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله لما بعث معاذا رضي الله تعالى عنه على اليمن قال: ( إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله. فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا .فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)خ/1[ 1389 ]. وعن بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: " فرض رسول الله زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة"خ/1 [ 1432 ] قال : ( من كان معه فضل ظهر أي مركوب زائد عن الحاجة فليعد به – أي يتصدق به – على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له). قال الراوي : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل - أي زائد عن الحاجة. م: 1728.

كذلك .. رغب الله تعالى عبادة وحثهم على إنفاق المال صدقة لوجه الكريم، بلا انتظار مقابل من أي إنسان.. وبدون المن على المعطي. قال تعالى: [**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** **(262)**]البقرة. قال رسول الله : (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل)خ/2[ 6993 ]. وبين الله تعالى، أن الإنفاق يكون من أحب وأفضل المال، قال تعالى: [**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** **(92)**] آل عمران. والأفضل أن يبدأ المسلم بصدقته أهلة وأرحامه.. قال تعالى: [**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)**] البقرة، قال : ( خير الصدقة ما كان على ظهر غنى وابدأ بمن تعول)خ/2 [ 5041 ]، وذُكر في قصة –زوجة عبد الله ابن مسعود..فقال النبي : (صدق بن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم)خ/1[ 1393 ].

والصدقة تكون بتوسط واتزان.. فلا يخرج كل ماله.. كما لا ينبغي له أن يمسك جميع ماله. فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: "كان رسول الله يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأ تصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. فقلت بالشطر فقال لا، ثم قال: (الثلث والثلث كبير أو كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك)خ/1[ 1233 ] وعن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال: ( أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك )خ/2[ 2606 ].

كما حرم الإسلام إضاعة المال.. وصرفة في غير الأوجه الشرعية، قال النبي : (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) خ/1[ 2277 ]، فالكل مسئول عن المال الذي أعطاه الله إياه، فيجب على كل صاحب مال، أن يتقى الله تعالى في ماله ولا يضيعه في التافهات من الأمور.. أو الإفساد في الأرض.. قال : (لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم) صحيح الجامع:2/7299، قال تعالى: [ **وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** **(26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)**] الإسراء،

ولا تثريب على من أحب فضل الله الكثير.. والزيادة في الأموال.. ما دام يصرفها في أوجهتها المشروعة، قال رسول الله : (لا تحاسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه مالا فهو ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل)خ/2[ 7090 ]، وقد بوب البخاري في كتابه**:** "باب قول النبي هذا المال خضرة حلوة" وقال الله تعالى { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا } قال عمر:" اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه"خ/2، قال : (إن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع)خ/2[ 6063 ] قال : ( وإن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل)خ/1[ 1396 ]، قال : (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا)خ/2[ 6078 ].

ويرغب الإسلام في القناعة.. والرضا بما أعطانا الله تعالى. قال : (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)خ/2[ 6081 ]، وقال : (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ) (م). وألا ينظر لمن ازدادوا عليه في المال والنعم نظرة حقد وحسد وطمع.. قال رسول الله : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه)خ/2 [ 6125 ]

كما ينبغي للإنسان أن يزهد في تلك الأموال الزائلة التي سيسأل عنها يوم القيامة.. فمهما بلغ من غنى وثروة.. فلن يرضى أبدا بما معه.. ولا يزال يتطلع للأكثر والأفضل.. ويبخل.. ويطمع.. ويتعلق بالدنيا.. بل ويكون عبدا للمال.. فيبذل كل طاقته للحصول عليه دون النظر لدين والقيم والأخلاق.. وليس كل ذلك من سمات المؤمن الحق.. قال رسول الله : (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض)خ/2[ 6071 ]، وقال النبي : ( لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)خ/2 [ 6072 ] وقال : (المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)خ/2[ 5078 ] وقال : (لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة)خ/2[ 5110 ]، وقال : ( إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السفلى)خ/1 [ 1403 ] وقال : ( أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)خ/2[ 2988 ].

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

وتوازن الإسلام في المال.. يكون بالحصول عليه من الحلال.. وإنفاقه في الحلال.. بدون إسراف ولا تبذير.. وبدون بخل وإمساك.. وإعطاء حق الله تعالى فيه، والإنفاق في سبيله.. مع ترك جزء من المال.. فلا ينفق كل ماله.. ولا يمسكه جميعه. والقناعة بما أعطى الله تعالى وعدم التعلق الشديد بالمال والدنيا.

**توازن الإسلام في: العفو والانتصار**

العفو خلق من أعظم الأخلاق التي جاء بها الإسلام، فقد حث القرآن والسنة على أفضلية العفو، فبه تربط المجتمعات، وتصفى القلوب، وتُطفئ نار الغل والحقد، ويعم الحب والسلام والرحمة.. لذلك كان من أحب الأعمال إلى الله تعالى. قال : ( إن الله تعالى عفو يحب العفو ) صحيح الجامع1/ 1779. وجعله الله من صفات المتقين، قال تعالى: [**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** **(133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** **(134)**] آل عمران.

فالعفو درجة أعلى وأعظم من كظم الغيظ، حيث يمنع القلب أن يحمل العداوة والبغضاء على المعتدين، قال تعالى: [**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** **(36)**] فصلت.

لذلك كان العفو من أهم العلاقات بين المسلمين، فحث الإسلام عن العفو عن القاتل والظالم.. بل كان الرسول يعفو أيضا عن الكفار.. فعفا عن الأسرى في بعض الحروب، وعفا عن الكفار الذين آذوه وأخرجوه وحاربوه!! قد قال تعالى في الآية الكريمة السابقة: [والعافين عن الناس] أي جميع الناس دون النظر لنوع والجنس والديانات!

والعفو سمه الأنبياء والصالحين في كل زمان ومكان، ولا يكون العفو إلا عند المقدرة على الانتصار.. فعندما قابل نبي الله يوسف عليه السلام، إخوته الذين خطفوه في صغره، وحرموه من والديه، والقوه في البئر، ليصبح رقا يباع ويشترى ثم يسجن ويعرض للفتن-التي عصمه الله تعالى منها- ويعيش بعيدا عن أهله ويقاسي الكثير من الابتلاءات.. بسببهم.! فلما قابل إخوته أولائك وبعد أن صار ملكا على خزائن الأرض وقادرا على البطش والنكال بهم.. قال لهم: [**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)**] يوسف، لقد رد يوسف عليه السلام بكلمات قليلة، لكنها تحمل إيمانا راسخا ويقينا جازما إنه لا ينتظر الأجر إلا من الله تعالى وحده، قال تعالى: [**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)**] الشورى، هذا هو خط توازن العفو في الإسلام. أن نعفو مع كامل القدرة على الانتقام.

جزاء العفو:

وإذا كنا نريد أن نمضي في ذكر فضائل العفو فهي كثيرة جدا منها..

1- عفو الله تعالى. قال تعالى: [**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **(22)**]النور. وقال تعالى: [**إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** **(149)**] النساء.

2- حب الله تعالى. قال : (إن الله تعالى عفو يحب العفو) صحيح الجامع1/1779

3- ضمان الجنة. قال تعالى: [**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)**]آل عمران.

4- رضا الله تعالى. قال: (ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملئ الله قلبه رضا يوم القيامة) صحيح الجامع1/176

5- العز في الدنيا والآخرة. قال : (وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزا) م:2588.

6-الراحة والطمأنينة والسعادة.. يقول الشاعر:

يا عظيم المن يا رب السماء \*\*\* مدني بالعفو عن من ظلما

واجعلاً مني تقياً مؤمنا \*\*\* يقتفي الهادي الحبيب الأعظما

عيـــش من يعفو هنيٌ طيـــبُ \*\*\* قلبهُ من كل شــــرٍ سلما

يــــا قلوب زينتها رحمـــةٌ \*\*\* ليت قلبي فيك بالعفو انتمى

لو درى المبــحر في أحقاده \*\*\*ما الذي في عفوه ما انتقما

راحــــة للقلب عـــز ٌرفعةٌ \*\*\* ومن الأسقـــام ِ للجسمِ حما

إنما العــــفوُ سبيلٌ لرضـا \*\*\* أيُ عفـــــو ٍجر يوماً ندمـــا

أســـــعدُ الناسِ وأنداهم يدا \*\*\* من يلاقي سؤهم مبتسمـــــا

فالإسلام يشجع ويحث على العفو.. ويجازي عليه بأفضل وأعظم الجزاء.. ومن جهة أخرى، يقر الإسلام ويدعو للانتصار وأخذ الحقوق الواجبة. فالعفو في الإسلام لا يفتح الباب للأعداء والظالمين والمفسدين في الأرض.. أن يتمادوا في ظلمهم وفسادهم..!!

إن الإسلام دين عزيز.. يعطي لكافة أبناءة العزة والرفعة.. ولا يقبل لهم الذل والمهانة ا، فالمسلم عزيز بإسلامه وإيمانه وقيمه وأخلاقه.. وحق لكل مسلم أن يرتفع على جميع البشر لأنه: مسلم.

"وقد بوب البخاري في كتابه: باب الانتصار من الظالم" لقوله جل ذكره : [**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** **(148)**] النساء، وقال تعالى: [**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** **(39)**] الشورى. قال إبراهيم: "كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا" خ/1

فمن هنا توازن الإسلام. قال تعالى: [**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)**]البقرة، والاعتداء على المعتدي يكون بالمثل لا بالزيادة، وقال تعالى: [**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** **(40) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** **(41)**]الشورى–هنا يقر الإسلام أن الانتصار على الظالمين أمر لاشك فيه- ثم يبن تعالى أن الإثم والعقاب على الظالمين.. قال تعالى: [**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** **(42)**] الشورى .لكن الإسلام يرغب في العفو والصلح بقدر التوسط، قال تعالى: [**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)**] الشورى.

ولكن إذا كثر الظلم وتوالت الاعتداءات .. فالإسلام يفضل ويسمح بالانتصار.. ولا يقبل الذل والاستضعاف .. وبهذا التوازن يعيش المسلم في عزة بأخذ حقه من ظالمة دون زيادة .

فتوازن الإسلام يحث على التحلي بالعفو والصفح.. ويقر بالانتصار على الظالمين . قال : (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)خ/2[ 5763 ] فهو دين الفطرة يقر بطبيعة البشر المجبولة على حب الانتصار، وكراهية الذل والمهانة.. ويهذب تلك النفس، ويربيها على الصبر والعفو .. لتقوم على مجتمع آمن مترابط متراحم .. فلا يكون لنفس حظا .. إلا انتظار الأجر من الله تعالى وحده.

قال تعالى: [**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** **(126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** **(127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)**]النحل.

**توازن الإسلام في: الفرح والحزن**

الإسلام دين سعادة وفرح وسرور.. يضمن للمسلم السعادة الأبدية في الآخرة، وعلى قدر طاعته وبذله تكون سعادته في الدنيا. قال تعالى: [**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)**] النحل. وعلى حسب الإهمال والبعد عن الدين.. وإتباع الطرق الضالة .. تكون التعاسة والضنك .. قال تعالى: [**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** **(123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)**] طه. فهذه القاعدة الإسلامية لسعادة.

فالدنيا دار حقيرة مليئة بالأكدار والمصائب والمحن والمشاق والهموم.. والله تعالى كتب على ابن آدم الابتلاء ليمحصه ويختبره. فيبتليه بالضراء والسراء .. والشدة والرخاء.. حتى تنقى وتطهر تلك النفوس ..

فالإنسان إذا بين حالتين، فرح وسرور..أو هم وحزن وكرب!!

فجاء الإسلام ليوازن وينظم أحاسيس ومشاعر المسلم .. فدله على الطرق التي يتمتع فيها بالراحة وينعم بالرضا والقناعة.. سواء في الضراء والسراء.

فالإسلام يقر بفطرة الإنسان المجبولة على الحزن والبكاء.. ساعة الكرب والضيق، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال دخلنا مع رسول الله على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وأنت يا رسول الله فقال: ( يا بن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)خ/1 [ 1241 ]. وقال : (ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله)خ/1[ 1242 ].

فالمنهي عنه في الإسلام، التضجر والسخط من أقدار الله تعالى. قال : (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)خ/1 [ 1232 ]، وقال : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)خ/1[ 1223 ] وبين تعالى أن الصبر يتحقق، بالرضا والقناعة، والإيمان والعمل الصالح، واليقين والثقة في الله تعالى، واحتساب الأجر منه وحده، والدعاء والتذلل والخضوع إليه.. وعدم التضجر والسخط والشكوى لأحد غير الله تعالى.

فالمسلم لا يبالغ في الحزن والهم .. ما علم أن له رب قادر رحيم .. واثق بأن ما قدر الله تعالى له كله خير.. فيرضى ويسلم لله تعالى ولا يكترث ولا يشتكي لأحد إلا لله. قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)خ/2 [ 5318 ]. وقد أمر الإسلام أيضا بالأخذ بالأسباب –التي تدفع وتزيل الهم والحزن- فلا يقعد ملوما محسورا ينتظر الفرج !! بل يسعى ويدبر ويعمل..

كذلك فإن فطرة الإنسان مجبولة على السعادة والسرور وقت الفرح..

فنظمها الإسلام.. بحيث لا يطغى ذالك الفرح والطرب عليه فيضله ويتمادى في الإفساد في الأرض، وأخذ حقوق الآخرين، وتضييع الأموال والنفس والكبر والتبختر، والمباهاة والمفاخرة.. طلبا لفرحة وسروره وراحته !! قال تعالى: [**وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)**] القصص

ويكون الفرح متزنا إذا قُرن بالشكر، ورد النعمة لله تعالى لا من كسب وتحصيل النفس، واستخدامها كذلك في ما يرضي الله تعالى.

والتوازن فيهما. قول الرسول : (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ) م/2999

فيعيش المسلم راضي بقضاء الله تعالى، متفائلا بالفرج.. واثق من رحمه الله تعالى، فيعكس القلب المليء بالرضا والتفاؤل على الوجه ابتسامه لا تفارق الإنسان المسلم في الشدة والرخاء.

إن الإيمان الجاد الممثل للعمل الصالح هو الذي يعصم النفس البشرية من اليأس الكافر في الشدة، كما يعصمها من البطر الفاجر في الرخاء. وهو الذي يقيم القلب البشري على سواء في البأساء والنعماء، ويربطه بالله تعالى في كلتا الحالتين.. فلا يتهاوى ويتهافت تحت مطارق اليأس ولا ينتفخ ويتعالى عندما تغمره النعماء -فلا يبالغ في الحزن و الفرح وليكن متوازن في المشاعر والأحاسيس- فكلا حالي المؤمن خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن\*. قال تعالى: [**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** **(22) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** **(23)**] الحديد.

هذا هو الإسلام. يحب ويرضى بالفرح والسرور.. ويكره الحزن والهم.. فينظمهما؛ بالصبر والرضا والقناعة عند المصيبة، وبالشكر عند الفرح وتسخير النعم في مرضاة الله تعالى والتمتع بالحلال بحيث لا تلهيه عن طاعة الله عز وجل.. ولا تطغيه فيفسد ويضل في الأرض.

وبذلك النظام الرباني.. يضمن المسلم السعادة في الدنيا والآخرة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**توازن الإسلام في : الغناء**

الإنسان بطبيعته مجبول على حب الأصوات العذبة، والألحان الندية، والكلمات الموزونة، فيصغى لها بآذن واعية، وروح مبتهجة، وتتحرك أحاسيسه ومشاعره لتلك الأصوات والكلمات. فيتأثر بها وتقع في قلبه إيقاعا سلبيا أو إيجابيا يظهر على أقواله وأفعاله.

قال : (زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) صحيح الجامع:1/3581. وذلك لأن الإنسان يميل لصوت الحسن، ويتلذذ به، بل ويستفيد منه أكثر.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

والغناء اسم يطلق على أشياء كثيرة. منها: غناء الحجيج في الطرقات، بأشعار يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وقد يكون معها طبل، وغناء الغزاة: فإنهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الجهاد.. كذلك يطلق على الغناء أشعار تنشدها النواح يثيرون بها الأحزان والبكاء، أو الأشعار التي يتغنى بها المتيمون ويصفون فيها المستحسنات والخمر والنساء^.. أو الأشعار التي تحث على مكارم الأخلاق والمدح والثناء..

ولما كان الإسلام هو أفضل الأديان وأقومها كان من مقاصد شريعته: -حفظ الدين والعقل.. وتسخيرهما فيما يعود بالنفع والفائدة لدين والنفس والمجتمع. فالعقل إذا استخدم في اللهو والطرب فقط فإن قيمته تكون بمثابة عقل السكران الذي لا يفقه ما يدور حوله لغلبه الهوى والنشوى..

وسماع الغناء واللهو يلهي القلب ويشغله عن ذكر الله تعالى والتفكر في عظمته وآلائه .. والقيام بطاعته، ويحرك الطباع ويخرجها عن حد الاعتدال، ويثير العداوة والبغضاء.. والحب الزائف والشهوات..

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

إن أدلة تحريم الغناء والموسيقى مستفيضة ومفصلة في كتب العلماء.. نذكر منها:

\*من القرآن: قال تعالى:[ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** **(6)**] لقمان. -قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء، وقال مجاهد: اللهو: الطبل (تفسير الطبري) وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير (تفسير ابن كثير).

- قال ابن القيم: ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء، فقد صح عن ابن عباس وابن مسعود، قال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) فقال: والله الذي لا إله غيره هو الغناء –يرددها ثلاث مرات- وصح عن ابن عمر أيضاً أنه الغناء (كتاب: إغاثة اللهفان لابن القيم) فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقسم ثلاث مرات أن لهو الحديث هو الغناء، وقد قال عنه: (إقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه) صحيح الجامع-1143-وفي رواية –(وتمسكوا بعهد ابن مسعود) برقم:1144.

\*من السنة: قال : (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف...) السلسلة الصحيحة-91- ومعنى استحلال الشيء: أي جعله حلالاً وهو في الأصل محرم.

وقال : (إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة مزمار شيطان ولعب، وصوت عند مصيبة...) صحيح الجامع-5194

وقال : (ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف) السلسلة الصحيحة-2203

وقال : (إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والقنين...) صحيح الجامع-1708-

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

فالغناء المحرم هو ما ستخدم فيه كلمات فاحشة، أو ألفاظ بذيئة -تخل بالقيم والأخلاق- أو نغمات موسيقية .. أو أي نوع من أنواع المعازف وما يدخل في حكمها. ولا يحرم الإسلام إلا الضار!

أما الغناء الهادف، ذا الأشعار الهادفة والمفيدة، والكلمات الموحية النافعة، مع الترانيم العذبة، والأصوات الشجية.. بدون استخدام آلات محرمه سوى "الدف" فالإسلام يبيحه لما فيه من راحة للقلب، وفرح وبهجة، ونفع وفائدة.

كذلك فإن بعض الأشعار بها كلمات تذكر بالله تعالى، وتحث على عمل الخير وتنشر الحب والإخاء والفرح بين المسلمين، قال : (إن من الشعر حكمة)خ/2 [ 5793 ].

وقد كان للنبي –حاد- أي "الذين يتغنون للإبل يستحثونها على السير" يقال له أنجشة وكان حسن الصوت، يحدو فتعنق، أي: تسير سيرا سريعا) م 2323،خ/ 2[ 5857 ].

وعن سلمه بن الأكوع، قال: خرجنا مع رسول الله إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنياتك؟ وكان عامر رجلا شاعرا فنز يحدو بالقول يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا \*\*\* ولا تصدقنا ولا صلينا

فألقين سكـــينة علينـــا \*\*\* وثبت الأقــدام إذا لا قينا

قال : (من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: (يرحمه الله ) خ/6148- م/1802

\* كذلك من إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله عليهم:

طلع البدر علينا \*\*\* من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا \*\*\* ما دعا لله داع

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم، وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

هذا هو توازن لإسلام .. يقر بالتمتع بالأصوات الحسنة والكلمات الهادفة، بحد الاعتدال، ووفق شرع الله تعالى. ويحافظ على العقل والدين والقيم والأخلاق.. ويعطي لنفس حق التمتع والتلذذ بالحلال .. دون أن يجرح المشاعر، أو يهدم الأخلاق والقيم، ويطرب العقل، ويلهي عن ذكر الله تعالى وطاعته.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**التوازن في : خلق الإنسان**

لقد خلق الله تعالى الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحة، وأسجد له جميع ملائكته، وتولى سبحانه رعايته وحفظه، وميزه بحواس وقدرات ومواهب، وسخر له جميع ما في السماوات وما في الأرض وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا. قال تعالى: [**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** **(70)**] الإسراء. قال تعالى: [**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)**] الجاثية.

فالإنسان إذاً محل اهتمام وتكريم.. وإنعام واصطفاء.. لا محل ذل وهوان.. وضياع وخذلان..

والله تعالى خلق الإنسان لغاية وهدف واحد. قال تعالى: [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)**] الذاريات.ومن ثم أعطاه حرية اختيار الطريق، وزوده بعقل حتى لا تكون له حجه قال تعالى: [**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** **(2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** **(3)**] الإنسان.

**\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\***

إن من أبرز مظاهر التوازن لدى الإنسان؛ أن خلقه الله تعالى من ذكر وأنثى، وأنزل التكاليف التي تتناسب مع فطرة كلا من الجنسين، حيث زود الرجل وهيئ خلقته على حسب تكاليفه، وزود المرأة وهيئ خلقتها على حسب تكاليفها، وهما يشتركان في نفس التكاليف.. إلا اليسير منها على حسب ما زود وهيئ له كل من الجنسين، ولا تستقيم الحياة ولا تتوازن إذا تخلى أحد الجنسين عن تكاليفه الخاصة به، ليقوم بتنفيذ تكاليف الجنس الآخر..

لقد نزلت الشريعة للعالم كله، بأجناسه المختلفة رجالا ونساء، اشتركوا في التكاليف نفسها ويتعرضون لنفس السنن الكونية، وسيحاسبون في الآخرة بنفس المقاييس. قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** **(1)**] النساء. قال تعالى: [**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ..** **(195)**] آل عمران. وقال تعالى: [**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)**] النحل.

إن دور الرجل ومجال نشاطه وفعاليته للإنتاج المادي وتنشيطه، و دور المرأة ومجال نشاطها وفاعليتها للإنتاج البشري وتربيته. فلكل منهما دوره واختصاصه حسب مواهبه وفطرته التي فطره الله تعالى عليها^.

ولا فضل لجنس على آخر في الإسلام. ولا يظلم الله تعالى أي إنسان، قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)**]يونس. والتفاضل الذي يضعه الإسلام بين الأجناس.. هو تفاضل التقوى فقط. ولا قيمة لأي تفاضل آخر يضعه البشر. قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)]** الحجرات.

والإسلام يحرم تشبه أحد الجنسين بالآخر، لما فيه من الفوضى والاختلاط وعدم الرضا بفطرة الله تعالى. واختلال التوازن البشري والإسلامي، الذي خلق الله تعالى الجنسين ليحققانه. فعن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)خ/2[ 5546]

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

((التوازن في: أعضاء الإنسان. قال تعالى: [**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** **(21)**] الذاريات.))

وهنا نشير إشارة سريعة لتوازن المطلق في بنية وأعضاء الإنسان، حيث أن اليدين والرجلين في نفس المقاس والطول، فلا يد أطول من يد ولا رجل أدق من الأخرى. كذلك فإن اللون واحد للإنسان الفرد، وجميع الأعضاء في تناسق وتوازن عجيب!! فكل عضو يعلم متى دورة وعملة، ولا يتعارض عضوان معا، ولا يتوقفان معا، بل كل عضو له وقته المحدد يعلم متى عمله ونشاطه، بدون أي خلل أو تدخل من الإنسان -إلا أصحاب العاهات الخاصة- فسبحان من أبدع ووازن!

وخلق الإنسان بهذا التكوين العجيب، وبهذه الخصائص الفريدة، وبهذه الوظائف الدقيقة المتنوعة الكثيرة الخارقة، نسيناها لطول تكرارها، ولقربها منا! ولكن التركيب العضوي لعضو واحدة من جوارح الإنسان، مسألة تدير الرأس عجبا ودهشة واستهوالا لهذا التركيب العجيب الدقيق المنظم\*!

قال تعالى: [**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ** **(7)**] السجدة.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

((توازن الإسلام في: غذاء الإنسان.))

لقد اهتم الإسلام بغذاء المسلم اهتماما لم يسبقه إليه أي دين أو تشريع، فلا يخلوا كتاب من كتب الفقه أو التشريع من باب في علم التغذية يسمى باب الأطعمة و الأشربة كذلك باب في علم التداوي وبين الإسلام فيما بين الأطعمة المباحة والأطعمة المحرمة\*.

إن الطعام الصحي والأغذية المتوازنة هما مفتاح التمتع بصحة جيدة وقوية وإن حياتنا تقوم على التغذية السليمة فالتغذية توفر للجسم كل العناصر الضرورية للحياة^ . قال : ( المؤمن القوي خير وأحب إل الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ) صحيح الجامع2/ 6650 والنقص فيها مصدر للأمراض والاضطرابات من كل نوع. قال: ( لا ضرر ولا ضرار ) صحيح الجامع2/ 7517.

وهناك نمطان أساسيان لسوء التغذية يتعلق أحدهما بحصول الجسم على مغذيات تقل عن حاجته وبينما يتعلق الآخر بحصوله على فائض منها وفي كلتا الحالتين نجد اختلالا بالنسبة لما يحتاجه الجسم لحفظ حياته^، وقد وضع الإسلام قوانين إلهية لننظم بها غذائنا:

-عدم ملأ البطن والتبذير والإسراف. قال : (ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه ) صحيح الجامع2/ 5674. قال تعالى: [**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** **(31)**] الأعراف.

- تنويع أصناف الطعام فإن الجسم يحتاج إلى عناصر غذائية متنوعة مفيدة لينعم بالصحة والنشاط والله سبحانه سخر لنا كل ما يحتاجه الجسم من أصناف الطعام. قال تعالى: [**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ** **(24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا** **(25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا** **(26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** **(27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا** **(28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا** **(29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا** **(30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** **(31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** **(32)**] عبس .

ولابد أن نعرف مصدر الطعام الذي يدخل معدتنا فيجب أن يكون حلالا. قال : ( كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ) صحيح الجامع2/ 4519. والسحت: الحرام.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

((توازن الإسلام في: الحب))

ينظم الإسلام مشاعر وعواطف الإنسان بأدق وأفضل نظام.. حتى لا تطغى تلك العواطف على عقلة وحياته ودينه.

فالحب.. طبع جبلي لجميع البشر يصدر عنه قول وفعل وتعلق وارتباط.. فجاء الإسلام ليتوسط بين القوة والضعف؛ فلا حب جنوني.. ولا بغض نهائي.. قال : (أتاني جبريل فقال : يا محمد ! عش ما شئت فإنك ميت و أحبب من شئت فإنك مفارقه و اعمل ما شئت فإنك مجزي به و اعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل و عزه استغناؤه عن الناس) صحيح الجامع" حسن:73" قال علي رضي الله تعالى عنه: (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما) صحيح الجامع178.

والإسلام ينهى عن البغض والشحناء والعداوة. قال : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله) م/.2564. ويرغب ويحث على الترابط بين المسلمين ونشر الحب والمودة بينهم، قال : ( والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) صحيح الجامع2/ 7081. وقال : ( المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ) صحيح الجامع:2/6662. وذكر في حديث السبعة الَّذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (رجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك، وافترقا عليه) خ:2/199،م:1031. وقال في الحديث القدسي، قال الله تعالى: (حقت محبتي للمتحابين في) صحيح الجامع2/ 4321. وحري بالمسلم أن يحب الصالحين المتقين، ليحظى بالحشر معهم يوم القيامة قال النبي : ( المرء مع من أحب) متفق عليه/خ:10/462، م/2641.

فالإسلام دين الحب .. حب بين الأصدقاء والمجتمع والأسرة والزوجين والأبناء والجيران.. بل وقد أكد الإسلام على بقاء الحب والإستزاده منه بقدر التوسط، قال: ( إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه، فإنه أبقى في الألفة، وأثبت في المودة) صحيح الجامع1/ 280. وقال : ( ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشهدهما حبا لصاحبه ) صحيح الجامع2/ 5594.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

((توازن الإسلام في: العلاقة بين الجنسين.))

إن من مظاهر التوازن في خلق الإنسان أن خُلق من ذكر وأنثى، لتتم به عمارة الأرض بالتزاوج ليتحقق التناسل والتكاثر، وتقام شريعة الله تعالى في الأرض.

والإسلام دين يسر وسهولة ودين فطرة، يلبي جميع متطلبات الإنسان ولا يرضى لأبنائه التقلص والانفراد والانقراض! بل يحث على بقاء النسل وعمارة الأرض وإصلاحها لتبقى الحياة مستمرة ومتوازنة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

و يقيم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس المشاعر النبيلة الراقية الطاهرة النظيفة التي تبنى على السكن النفسي والبدني والرحمة والمودة وليس مجرد المتعة^!

وقد شجع الإسلام النكاح. قال تعالى: [**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** **(32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ** **..(33)**] النور، قال (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم) صحيح الجامع1/ 2941. وقال : ( يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)خ/2 -4779 ففيه ترويح للنفس وإيناسها بغيرها، ومجاهدة لنفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بالحقوق، وتكثير النسل المسلم، ودفع لشهوات المحرمة.

وقد لبس الشيطان على بعض العباد فمنعهم من النكاح تشاغلا بالعبادة، ورأوا أن النكاح شاغلا عن عبادة الله عز وجل!" قال : (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر؟! قال أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر؟ قالوا: نعم، قال: كذلك إذا وضعها في الحلال كان له اجر)، ثم قال: (أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير) م/1006 قال : (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث – أشياء – صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) م/1631.

ومنهم من قال إن النكاح يوجب النفقة، والكسب صعب وهذه حجه للترفه عن التعب والكسب"، قال : (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته في صدقة، ودينار أنفقته على عيالك، أفضلها الدينار الذي أنفقته على عيالك) م/995.

ومنهم من قال: النكاح يوجب الميل لدنيا !! وجميع هذه الحجج مخالفة لشرع !! أترى رسول الله لما كان ينبسط مع نسائه.. أكان خارجا عن الأنس بالله تعالى وعبادته، ومنشغلا ومائلا إلى دنيا"!! قال : (إني أتزوج النساء، وأنام وأقوم وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني) متفق عليه:خ/9-89، م/1401.

ولما كان الإسلام يهول ويعظم من شأن "الزنا" بل وينفي الإيمان عن مرتكبة في ساعتها، قَالَ النَّبِيُّ : ( لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) خ/2308، وجعله من كبائر الذنوب، ومن أشنع الفواحش، ورتب عليها أعظم العقوبات.. أرشد سبحانه عبادة إلى أطهر وأفضل السبل للقضاء على الشهوات التي فطر عليها الإنسان، وهو طريق "النكاح" فحث ورغب فيه، بل ورتب عليه الجزاء العظيم في الإنفاق والسعي عليه وتلبية جميع متطلباته.

فالنكاح إذا أفضل الطرق للقضاء على الشهوات، وبقاء النسل، المنتمي إلى أبوين مترابطين يعيش في أحضانهما، إلى أن ينموا ويكبر، ويتكفل الوالدين بتربيتهم ورعايتهم والقيام بحقوقهم، كذلك من فوائده.. تنظيم المجتمعات، والترابط بين أفرادها، والقضاء على الفوضى والأمراض الفتاكة، والحفاظ على النسل الضائع، بل والحفاظ على الأعراض المنتهكة المسلوبة المظلومة والقيام بالعدل والحفاظ على حقوق الإنسان الكاملة.

قال تعالى: [**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** **(32)**] الإسراء. فالقران يحذر من مجرد مقاربة الزنا، ولأن هذه الفواحش ذات إغراء وجاذبية، كان التعبير "ولا تقربوا" للنهي عن مجرد الاقتراب سدا لذريعة، واتقاء للجاذبية التي تضعف معها الإرادة، كذلك مبالغة في التحرز، لأن الزنا تدفع إلية شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابة لا يكون هناك ضمان\*. قال : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)خ/2[ 4808

ومن ثم يضع الإسلام الضمانات توقيا للوقوع فيه، فيكره الاختلاط في غير ضرورة، ويحرم الخلوة، وينهى عن التبرج بالزينة، ويمنع الإشارات والحركات والضحكات المثيرة، ويحض على الزواج لمن استطاع، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع، ويكره الحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور.. وينفي الخوف من العيله والفقر بسبب الأولاد، ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم، ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان، إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج، ليحفظ الأمة المسلمة من التردي والانحلال.

فهذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابهم عنتا في المقاومة! فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود، ويوقع العقوبات، وهو دين حماية لضمائر والمشاعر والحواس والجوارح\*..

فالإسلام يقر بالزواج ويحث ويشجع ويثيب عليه، ويشنع ويهول من شأن الزنا، ويغلق جميع الطرق الموصلة إلية، ويرفض الرفض الشديد الرهبانية والتبتل والانقطاع.. ويفسح طريق النكاح .. الطريق الآمن المريح.. هذا هو توازن الإسلام !!

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

((توازن الإسلام في: الجمال والزينة))

الإنسان مجبول على حب الجمال والزينة.. فأقر الإسلام تلك الفطرة ونظمها تنظيما متوازنا.. ولم يهمل أو ينسى أي جانب من جوانب الفطرة التي خلق الله الناس عليها.

قال تعالى: [**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** **(32)**] الأعراف.

الزينة في الإسلام.. ليست تلبية لفطرة الإنسان فحسب! إنما هي من فضائل ومحاسن الإسلام التي يثاب ويؤجر عليها المسلم، إذا التزم بقوانينها وحدودها.

والإسلام دين قيم وطهر وجمال وعزة.. فبني زينة المسلم على ذالك الطهر والجمال والعفاف..

قال : (إن الله جميل يحب الجمال) م:91

فالجمال.. طابع الإسلام الأصيل\*.. وكل زينة المسلم مبنية على هذا الجمال. و ليس جمالا ظاهرا فحسب! بل يهتم لإسلام أولا بجمال الباطن وطهارة ونظافة القلب والجسد فهو دين أساس وإخلاص.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[النظافة الشخصية والطهارة في الإسلام]

قال : (الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان والإستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب) خ:10/295، م/257. **و**عن أنس بن مالك قال‏:‏ ‏(‏وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة‏)‏‏(م).

نظافة الجسم. قال : (على كل رجل مسلم في سبعة أيام، غسل يوم وهو يوم الجمعة) صحيح الجامع2/ 4034. قال : (طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه ملك في شعاره، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهرا) صحيح الجامع/ 3936، وعلى المسلم في كل يوم وضوء.. بغسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق، وغسل اليدين إلى المرفقين والقدمين إلى الكعبين، ومسح الرأس مع الأذنين، وواجب على المسلم أيضا الاغتسال من الجنابة، وعلى المرأة الاغتسال بعد الحيض والنفاس.

كذلك يجب على المسلم التطهر من جميع النجاسات.. كما يجب عليه غسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم قبل البدء في أي عمل.. لتحقق الطهارة والنظافة في كل شيء.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[الرائحة الطيبة الزكية]

قال : (طيبوا أفواهكم بالسواك، فإنها طرق القرآن) صحيح الجامع2/ 3939، وقال : (عليكم بالسواك، فإنه مطيبة للفم، مرضاة للرب) صحيح الجامع2/ 4068.

قال أنس رضي الله عنه عن النبي :" ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله " خ:6/420، م/2330، و"كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل" صحيح الجامع2/ 4988. و"كان يعجبه الريح الطيبة" صحيح الجامع2/ 4983.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[جمال المظهر]

قال : ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنه، قال: ( إن الله جميل يحب الجمال) م/91.

قال : (من كان له شعر فليكرمه) صحيح الجامع2/ 6493. ولقد أنكر على من لم يهتم بذلك فقال: (أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه؟ أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه) صحيح الجامع1/ 1333. وأمر رجلا فقال له: (أكرم شعرك وأحسن إليه) صحيح الجامع1/ 1218.

قال : (عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر) صحيح الجامع2/ 4056، وفي رواية أخرى: ( إكتحلوا بالإثمد..) صحيح الجامع1/ 1197.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[التزين باللباس والحلي]

قال تعالى: [**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)** ] الأعراف. قال : ( إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبيه فإن الله تعالى أحق من تزين له) صحيح الجامع1/ 652.

وعن عبد الله بن عمر قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق فأخذها فأتى رسول الله فقال يا رسول الله:" ابتع هذه تجمل بها للعيد والوفود )خ1[ 906 ]، وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ( إلبس جديدا وعش حميدا، ومت شهيدا) صحيح الجامع1/ 1234 و (كان أحب الثياب إليه القميص) صحيح الجامع2/ 4625. وقال : ( إلبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم) صحيح الجامع1/ 1236. قال : ( إلبسوا الثياب البيض، فإنها أطهر وأطيب) صحيح الجامع:1/1235.

وكان : (خاتمه من فضة، فصه منه) صحيح الجامع2/ 4809. وقال : ( أُحِل الذهب والحرير لإناث أمتي، وحرم على ذكورها) صحيح الجامع1/ 209

-قال ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان الأمة وفقيهها: "إني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي" وقال : ( خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره) صحيح الجامع1/ 3298.

وقال : (استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكبا مادام منتعلا) صحيح الجامع1/ 954.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[نظافة الدور والساحات]

قال : ( طيبوا ساحاتكم، فإن أنتن الساحات ساحات اليهود) صحيح الجامع2/ 3941. وقال : ( طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهر أفنيتها) صحيح الجامع2/ 3935.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[إظهار نعمة الله تعالى على الإنسان]

قال تعالى:[ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)**] الضحى. قال : ( إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس) صحيح الجامع1/ 1742 وقال : ( إذا آتاك الله مالا، فليُر عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ولا يحب البؤس ولا التباؤس) صحيح الجامع1/ 255.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

[جمال العفاف وعز وشرف الستر]

**إن من مظاهر تكريم الإسلام  للإنسان – رجلاً كان أو امرأة – أَمْرُه بستر عورته واعتباره ذلك من متطلبات التزيُّن الذي تتطلبُّه النفوس السويّة وتقتضيه الفٍطَر السليمة ويستلزم خُلُق الحياء... ومن المعلوم أن التهاون في كشف العورات مُفسد للأخلاق ومثير للشهوات وذل وهوان للإنسان المكرم عن سائر الحيوانات بل والمخلوقات جميعها^..** قال تعالى: [**يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** **(26)**] الأعراف.

فالله سبحانه امتن على الإنسان باللباس والريش، واللباس المراد به: ستر العورات، والريش: ما يتجمل به ظاهرا، فاللباس من الضروريات والريش من الكماليات، ثم نبه سبحانه إلى خير لباس وهو لباس التقوى وهو التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل^.

قال : ( لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة) م/338

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

شروط الزينة:

\*أن لا تشبه زينة الكفار. قال : ( من تشبه بقوم فهو منهم) صحيح الجامع2/ 6149 .

\*أن لا يتشبه النساء بالرجال ولا الرجال بالنساء، فقد: ( لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) خ:10/280، قال : ( لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) صحيح الجامع2/ 5095.

\*عدم التبذير والإسراف، قال تعالى:[**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)** ]الأعراف. قال النبي : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة)خ/2

\*النهي عن التكبر قال : ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) م/91

\*عدم تغيير خلق الله.

هذا هو توازن الإسلام في الزينة. ففي أي شرع وأي قانون يوجد هذا الجمال وبهذا التناسق والتوازن!!!!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**التوازن في: الكون**

 يقضي كثير من الناس حياتهم غير مبالين بالتوازن الدقيق والانضباط البارع في هذا الكون. ويجهلون عظمة المعنى لهذه التوازنات والتوافُقات في حياتهم. بينما أي خلل مهما يكن صغيرًا في أي من هذه التنظيمات سيتسبب بمشاكل قاسية فيما يتعلق بوجود وبقاء الجنس البشري^.

إن الألفة قد أفقدتنا الوهلة والروعة التي يحسها القلب وهو ينظر إلى مثل هذه البدائع للمرة الأولى  
ولا يحتاج القلب المفتوح الواعي الموصول بالله إلى علم دقيق ليستشعر الروعة والرهبة أمام هذا الخلق الهائل الجميل العجيب. فحسبه مشهد النجوم المتناثرة في الليلة الظلماء. حسبه مشهد النور الفائض في الليلة القمراء. حسبه الفجر المشقشق بالنور الموحي بالتنفس والانطلاق. حسبه الغروب الزاحف بالظلام الموحي بالوداع والانتهاء. بل حسبه هذه الأرض وما فيها من مشاهد لا تنتهي ولا يستقصيها سائح يقضي عمره في السياحة والتطلع، بل حسبه زهرة واحدة لا ينتهي التأمل في ألوانها وأصباغها وتشكيلها وتنسيقها\*.

قال تعالى: [**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)**] النمل.

إن كل ما في الكون، كل صغيرة وكبيرة مخلوقة بقدر، مصرفة بقصد، مدبرة بحكمة ونظام وتوازن.. لا شيء عبث. لا شيء مصادفة، قال تعالى: [**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)**]القمر.  
كل شيء.. كل صغير وكل كبير. كل ناطق وكل صامت. كل متحرك وكل ساكن. كل ماض وكل حاضر. كل معلوم وكل مجهول. كل شيء.. خلقه الله تعالى بقدر.. وتوازن يحدد حقيقته. ويحدد صفته. ويحدد مقداره. ويحدد زمانه. ويحدد مكانه. ويحدد ارتباطه بسائر ما حوله من أشياء. وتأثيره في كيان هذا الوجود\*.

إن إظهار جزء فقط من التوازن والتناغم في هذا الكون يكفي للاستدلال على عظمة الله الذي بيده خلق كل شيء حتى أدّق تفصيل الكون، وبدون شك من المستحيل لأي شخص أو أي كائن حي آخر أن يبني مثل هذا التوازن الهائل.. فآية خلق السماوات والأرض كثيراً ما يشار إليها في القرآن، وكثيراً ما نمر عليها سراعاً دون أن نتوقف أمامها طويلاً.. ولكنها جديرة بطول الوقوف والتدبر العميق\*.

\*\*\*\*\*

(( التوازن في خلق الأرض ))

الأرض كوكب يعج بالحياة ويحوي الكثير من الأنظمة المعقدة التي تعمل مع بعضها البعض بشكل متكامل وبدون أي توقف. وعندما نقارن الأرض بالكواكب الأخرى، يتضح من النظرة الأولى أن الأرض تتميز بتصميم خاص لحياة البشر، فقد بُنيت بتوازن دقيق بحيث تغلب الحياة على كل بقعة من بقاعها، من أعالي الغلاف الجوي حتى أعماق الأرض^.

إن حجم الأرض هو الحجم المثالي من حيت الكتلة لتتمسك بغلافها الجوي.إذا نقصت هذه الكتلة قليلاً، ستكون قوة الجاذبية غير كافية وسيتبدد الغلاف الجوي الفضاء، أما إذا ازدادت كتلتها قليلاً، فإن قوة الجاذبية ستزداد بشكل كبير وستتشرب الأرض كل الغازات الموجودة في الغلاف الجوي! كما أن سُمك القشرة الأرضية يحوي نوع آخر من التوازن الدقيق في الأرض. فلو كانت القشرة الأرضية أسمك، لانتقل الكثير من الأوكسجين من الغلاف الجوي إلى القشرة الأرضية وهو ما يسبب إلى تأثيرات خطيرة على الحياة البشرية.أما إذا تحقق العكس وكانت القشرة الأرضية أرقّ، لكانت البراكين قد نشطت وعندئذٍ سيكون من الصعب أن توجد حياة. وأيضاً التوازن في طبقة الأوزون في الغلاف الجوي وهو أمر حاسم في حياة البشر، لأنه إذا كانت أقل سمكًا مما هي عليه حاليًا، لأصبحت حرارة سطح الكرة الأرضية منخفضة جدًا. أما إذا كانت أرقّ بقليل فإن حرارة سطح الأرض ستكون مرتفعة جدًا، وسينفذ الكثير من الأشعة فوق البنفسجية^.

كذلك التناسق في وضع هذه الأرض التي نعيش عليها، لتكون صالحة لنوع الحياة. فإن افتراض أي اختلال في أية نسبة من نسبها يؤدي بهذه الحياة كلها، أو لا يسمح أصلاً بقيامها. فحجم هذه الأرض، وكتلتها، وبعدها عن الشمس. وكتلة هذه الشمس، ودرجة حرارتها، وميل الأرض على محورها بهذا القدر، وسرعتها في دورتها حول نفسها وحول الشمس. وبعد القمر عن الأرض وحجمه وكتلته وتوزيع الماء واليابس في هذه الأرض.. إلى آلاف من هذه النسب المقدرة تقديراً، لو وقع الاختلال في أي منها لتبدل كل شيء، ولكانت هي النهاية المقدرة لعمر هذه الحياة على هذه الأرض^!

في الحقيقة.. إن فقدان حتى واحد فقط من هذه التوازنات سيضع نهاية للحياة على الأرض. ودراسة هذا الكوكب الصغير الذي نعيش على سطحه لم يتم منها حتى اليوم إلا القليل! فهذه الأرض واسعة عريضة بالقياس إلى البشر، وهي في الحقيقة ذرة أو هباء بالقياس إلى النجوم الكبيرة، ثم بالقياس إلى هذا الفضاء الذي تدور فيه.. تتوه لولا القدرة التي تمسك بها وتنظمها في العقد الكوني الذي لا يتوه شيء فيه\*!  
فاللهُ تعالى خلق الكون بحكمته وقوته المطلقة، وصمم الأرض خصيصًا للحياة البشرية. ومع ذلك فإن معظم الناس يستخفـّون بهذه الحقائق ويمضون معظم  حياتهم جاهلين بهذه الوقائع.

\*\*

(( قال تعالى: [**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** **(38)**] يس.))  
الشمس تدور حول نفسها. وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها. ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها. إنما هي تجري. تجري فعلاً. تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية! والله ـ ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها ـ يقول: إنها تجري لمستقر لها. هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه. ولا يعلم موعده سواه. وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه. وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء، ندرك طرفاً من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم: **[ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)**] يس\*.

(( قال تعالى: [**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** **(39)**] يس.))  
ونحن نرى القمر في منازله تلك. يولد هلالاً ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدراً. ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالاً مقوساً كالعرجون القديم\*. والعرجون: هو العذق الذي يكون فيه البلح من النخلة.

والحياة مع القمر ليلة بعد ليلة تثير في الحس مشاعر وخواطر ندية ثرية موحية عميقة. والقلب البشري الذي يعيش مع القمر دورة كاملة، لا يملك إلا أن يسبح الخالق المبدع للجمال والجلال؛ المدبر للأجرام بذلك النظام. سواء كان يعلم سر هذه المنازل والأشكال القمرية المختلفة أو لا يعلم. فالمشاهدة وحدها كفيلة بتحريك القلب، وإثارة التدبر والتفكير\*.

(( قال تعالى: [**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)**] يس.))

فلكل نجم وكوكب فلك أو مدار، لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه. والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة. وقد قدر الله خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب. ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه من التصادم والتصدع ـ حتى يأتي الأجل المعلوم ـ فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر. والليل لا يسبق النهار، ولا يزحمه في طريقه، لأن الدورة التي تجيء بالليل والنهار لا تختل أبداً فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزحمه في الجريان\*!  
قال تعالى: [**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)**] يس.

(( قال تعالى: [**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** **(74) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ** **(75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)**] الواقعة. ))

إن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة. متناثرة في ذلك الفضاء، سابحة في ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح\*!

ومن القليل الذي وصلنا إليه بمراصدنا الصغيرة، المحدودة المناظير، أن مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التي لا تحصى في الفضاء الهائل الذي لا نعرف له حدوداً. هي المجرة التي تنتسب إليها أسرتنا الشمسية -تبلغ ألف مليون نجم\*!

يقول الفلكيون إن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه. هذه كلها تسبح في الفلك الغامض؛ ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي، يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة. وهو احتمال بعيد، وبعيد جداً. إن لم يكن مستحيلاً^  
وكل نجم في موقعه المتباعد عن موقع إخوته، قد وضع هناك بحكمة وتقدير. وهو منسق في آثاره وتأثراته مع سائر النجوم والكواكب، لتتوازن هذه الخلائق كلها في هذا الفضاء الهائل\*.  
ولقد وصل العلم الحديث إلى أطراف من هذه الحقيقة، فيما يملك أن يدركه منها بوسائله المهيأة له. وصل في إدراك التناسق بين أبعاد النجوم والكواكب وأحجامها وكتلها وجاذبيتها بعضها لبعض إلى حد أن يحدد العلماء مواقع كواكب لم يروها بعد؛ لأن التناسق يقتضي وجودها في المواضع التي حددوها. ثم يتحقق هذا الذي فرضوه، ويدل تحقيقه على الدقة المتناهية في توزيع هذه الأجرام، في هذا الفضاء الهائل، بهذه النسب المقدرة، التي لا يتناولها خلل أو اضطراب\*!

\*\*\*

(( التوازن في خلق الليل والنهار))

في كل يوم جديد، تتحقق جميع الأحداث وفق النّظم نفسها. وكثير من الناس ألف الأحداث التي تقع في الكون فأصبح ينظر إليها على أنها حوادث عادية، والحال أن ذلك يعدّ أحد الأدلة على دقة التصميم الموجود في الكون\*.

إن الله تعالى هو الذي خلق الكون، فهو ذو القدرة العظيمة يخلق كل شيء بلا أدنى خلل أو قصور قال تعالى: [**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** **(5) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)**] يونس.

إن الليل والنهار ظاهرتان تنشآن عن دورة الأرض حول محورها أمام الشمس مرة في كل أربع وعشرين ساعة. ويتوسع البشر في علمهم فيدركون أهمية هاتين الظاهرتين على سطح الأرض بالقياس إلى الحياة والأحياء؛ ويعرفون أن تقسيم الأوقات بين الليل والنهار بهذه النسبة على سطح هذا الكوكب عامل رئيسي لوجود الحياة وبقاء الأحياء؛ وأنه لو لم توجد هاتان الظاهرتان بهذا القدر وعلى هذا النظام لتغير كل شيء على هذه الأرض، وبخاصة تلك الحياة الإنسانية التي تخص المخاطبين. من الأحياء! ومن ثم تزداد هاتان الظاهرتان أهمية في الحس البشري^!

قال تعالى: [**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** **(71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** **(72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** **(73)**] القصص.ففي مشهد الليل والنهار يتداخلان ويطولان ويقصران حجة، ومشهد قدوم الليل .. والنور يختفي والظلمة تغشى.. مشهد يتكرر يراه الناس في كل بقعة.. قال تعالى: [**وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** **(37)** ] يس. وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام وكأنما نور النهار ينزع أو يسلخ فيحل محله الظلام. فهو تعبير مصور للحقيقة الكونية أدق تصوير. وفيهما على التقدير والتدبير دليل. فسبحان من سخر الشمس والقمر بهذا النظام الدقيق العجيب\*.

قال تعالى: [**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** **(62)** ] الفرقان.

(( التوازن في خلق الحيوان ))

قال تعالى: [**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** **(38)**] الأنعام.

حولنا تلك الخلائق التي تدب على الأرض أنواعا وأجناسا، وأشكالا وأحجاما، لا يحصيها إلا الله تعالى، وأصغرها كأكبرها معجز في خلقه، معجز في تصريفه، معجز في تناسب حياته على هذه الأرض، بحيث لا يزيد جنس عن حدود معينة، تحفظ وجوده وامتداده وتمنع طغيانه على الأجناس الأخرى.. والقدرة الممسكة بزمام الأنواع والأجناس تزيد فيها وتنقص بحكمة وتقدير.. وتركب في كل منها من الخصائص والقوى والوظائف ما يحفظ التوازن بينها جميعا\*.

إن الجوارح التي تتغذى بصغار الطيور قليلة العدد، لأنها قليلة البيض، قليلة التفريخ، فضلاً على أنها لا تعيش إلا في مواطن خاصة محدودة. وهي في مقابل هذا طويلة الأعمار. ولو كانت مع عمرها الطويل، كثيرة الفراخ مستطيعة الحياة في كل موطن، لقضت على صغار الطيور وأفنتها على كثرتها وكثرة تفريخها. وذلك للحكمة التي قدرها الله تعالى، كي تتعادل عوامل البقاء وعوامل الفناء بين الجوارح والطيور\*!

والذبابة تبيض ملايين البويضات. ولكنها لا تعيش إلا أسبوعين. ولو كانت تعيش بضعة أعوام، تبيض فيها بهذه النسبة لغطى الذباب وجه الأرض بنتاجه؛ ولغدت حياة كثير من الأجناس - وأولها الإنسان - مستحيلة على وجه هذه الأرض. ولكن التوازن الذي لا يختل، في القدرة التي تدبر هذا الكون، وازنت بين كثرة النسل وقصر العمر فكان هذا الذي نراه\*!

والميكروبات - وهي أكثر الأحياء عدداً، وأسرعها تكاثراً، وأشدها فتكاً - هي كذلك أضعف الأحياء مقاومة وأقصرها عمراً. تموت بملايين الملايين من البرد، ومن الحر، ومن الضوء، ومن أحماض المعدات، ومن أمصال الدم، ومن عوامل أخرى كثيرة. ولا تتغلب إلا على عدد محدود من الحيوان والإنسان. ولو كانت قوية المقاومة أو طويلة العمر لدمرت الحياة والأحياء\*!

ويطول بنا الاستعراض، لو رحنا نتتبع الأنواع والأجناس الحية على هذا النحو، فنسرع الخطى إلى " الإميبا " ذات الخلية الواحدة، وهي كائن حي دقيق الحجم. يعيش في البرك والمستنقعات، أو على الأحجار الراسبة في القاع. ولا يرى بالعين إطلاقاً. بل يرى بالمجاهر، كتلة هلامية، يتغير شكلها بتغير الظروف والحاجات. فعندما تتحرك تدفع بأجزاء من جسمها تكون به زوائد، تستعملها كالأقدام، للسير بها إلى المكان المرغوب. ولذا تسمى هذه الزوائد بالأقدام الكاذبة. وإذا وجدت غذاء لها أمسكت به بزائدة أو زائدتين، وتفرز عليه عصارة هاضمة، فتتغذى بالمفيد منها، أما الباقي فتطرده من جسمها! وهي تتنفس من كل جسمها بأخذ الأكسوجين من الماء.. فتصور هذا الكائن الذي لا يرى إطلاقاً بالعين، يعيش ويتحرك، ويتغذى ويتنفس، ويخرج فضلاته! فإذا ما تم نموه انقسم إلى قسمين، ليكون كل قسم حيواناً جديداً\* ؟!

يقول (أ. كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك في كتابه بعنوان: " الإنسان لا يقوم وحده ".في الفصل ثالث: " ما أعجب نظام الضوابط والموازنات الذي منع أي حيوان ـ مهما يكن من وحشيته أو ضخامته أو مكره ـ من السيطرة على العالم، منذ عصر الحيوانات القشرية المتجمدة! غير أن الإنسان وحده قد قلب هذا التوازن الذي لطبيعة بنقله النباتات والحيوانات من مكان إلى آخر. وسرعان ما لقي جزاءه القاسي على ذلك، ماثلاً في تطور آفات الحيوان والحشرات والنبات\*.

قال تعالى: [**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)**] الأنعام. **ونضرب هنا مثلا واحدا.. لحقيقة أمة من الأمم الدقيقة الصغيرة...^فقد عكف علماء الحشرات مدة من الزمن يجرون بحوثاً و دراسات** .. **حول النملة، حيث وضعوها في مختبرات خاصة مع أجهزةٍ للمراقبة و التصوير، و أجهزة أخرى فوق( سمعية)** **لتسجيل لعل النمل يصدر أصوات فتسجل، أو حركات فترصد، و في النهاية خرجوا بنتائج ، هذه خلاصتها:**

النمل يمثل 20% من الكائنات الحية على كوكب الأرض.. وتبلغ أنواعه ما يقرب من 20.000نوع من النمل تنتشر تقريبًا في كل مكان.. منه من يعيش عمره تحت الأرض.. وآخر يعيش فوقها أو بين الأشجار.. وقد تجده في سهول القطب الشمالي.. أو حتى عند خط الاستواء.

**قالوا: لقد تبين لدينا من الملاحظة التامة أن النمل أمة كأمة البشر لها قانونها الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي بل و العسكري أيضا، فالنمل له نظام اقتصادي خاص في التوفير، و الرصد الاحتياطي لوقت الحاجة و حفظ المخزون بطريقة معينة حتى لا يفسد، و في النظام السياسي من ملوك و رؤساء و قادة، و في النظام الاجتماعي من أسرٍ و جماعات، و في النظام العسكري من جيوش و حمايات. بل ثبت أن النمل يقوم بحملات عسكرية على القرى المجاورة من النمل و يأسر منهم الأسرى و يضعهم في السجون! قالوا: ومن هنا يتبين لنا أن النمل أمة كأمة البشر في الدقة و النظام كذلك.. قالوا : لقد تبين لدينا من الملاحظة التامة و التسجيل** **الدقيق أمر عجيب، كانت البشرية جميعا حتى القرن التاسع عشر الميلادي يظنون أن النمل حشرة لا تنطق، و أنها تتعامل مع أخواتها من النمل بالإشارة أو الإيحاء أو غير ذلك، لكن بفضل أجهزة التسجيل فوق السمعية التي (تسجل الأصوات التي لا تسمعها الأذن) تبين لنا أن النمل ينطق و يتكلم، و يناقش و يجادل بل و يعقد المؤتمرات لدراسة مشاكله الخاصة^! وقد أخبر الله تعالى في القرآن عن تلك الحقائق**، **قال تعالى في سورة النمل: [حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** **(18)] فها هو القرآن يخبر أن النمل ينطق و يتكلم في قوله (قالت نملة) فهل كان عند محمد أجهزة فوق سمعية ليعرف بها أن النمل يتكلم؟ أما كان يخشى محمد و هو يتلو على البشرية هذه الآية أن يكذبوه و يتحدوه**! **إن هذا لدليل عظيم على أن القرآن أنزل إليه من عند الله تعالى الذي يعلم كل شيءٍ. فهل بقي لمنكر حجة!؟**

وقد أثبتت أحدث الدراسات العلمية أن لكل نوع من أنواع الحيوانات رائحة خاصة به، وداخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل بمثابة بطاقة شخصية أو جواز سفر للتعريف بشخصية كل حيوان أو العائلات المختلفة، أو أفراد المستعمرات المختلفة. ولم يكن عجيباً أن نجد أحد علماء التاريخ الطبيعي" وهو رويال وكنسون" قد صنف كتاباً مهمًا جعل عنوانه " شخصية الحشرات" . والرائحة تعتبر لغة خفية أو رسالة صامتة تتكون مفرداتها من مواد كيماوية أطلق عليها العلماء أسم فرمونات^. قال تعالى: [ **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** **(50)**] طه

وهكذا ينكشف للعلم البشري يوماً بعد يوم، شيء من تقدير الله العجيب في الخلق، وتدبيره الدقيق في الكون، ويدرك البشر شيئاً من مدلولات قوله في الفرقان الذي نزله على عبده: [ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)**] الفرقان\*.

(( التوازن في خلق النبات ))

قال تعالى: [**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ** **(19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** **(20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** **(21)**] الحجر. وقال تعالى: [**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)**] الأنعام.

كل شيء في هذه الأرض وكل حي.. يعلم الله تعالى مكانة ومقداره.. ويصرفه بكامل الحكمة والقدرة والتوازن.. وكل جزء من كل شيء ومن كل حي في هذه الأرض.. آية.. والصغير الدقيق كالضخم الكبير.. فهذه الورقة الصغيرة في هذه الشجرة الضخمة أو النبتة الهزيلة.. آية.. آية في شكلها وحجمها، آية في لونها وملمسها. آية في وظيفتها وتركيبها. وحيثما مد الإنسان ببصره في الأرض أو في السماء تزاحمت الآيات وتراكبت، ولكن من الذي يرى هذه الآيات ويستشعرها؟! قال تعالى: [**وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** **(105)**] يوسف\*.

وقد نوع الله تعالى النبات.. على حسب ما يصلح لكل نوع من الأحياء.. ولا يطغى نبات على آخر.. ولا يزيد عن قدره المحدد الذي وضع في الأرض بقمة التوازن والتناسق.. إلا إذا تدخل الإنسان وعبث في النظام الكوني المتوازن لنبات\*..قال تعالى: [**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** **(36)** ] يس.

وعجائب الحياة في النبات لا تقل في إثارة العجب والدهشة عن عجائبها في الإنسان والحيوان والطير والتقدير فيها لا يقل ظهوراً وبروزاً عنه في تلك الأحياء. قال تعالى: [ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)**] الفرقان \*

قال تعالى: [**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** **(4)**] الرعد.

الأرض واحدة والماء واحد.. بل و البقعة واحدة ومتجاورة! والنبات مختلف في الأشكال والألوان والرائحة والطعم !!

\*\*

قال تعالى: [**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)**] لقمان

إن هذه التوازنات التي قد وصفناها بإيجاز حتى الآن ما هي إلا غيض من فيض ملايين التوازنات المترابطة والمعقدة، وبوجودها استطاع الناس الحياة في أمن وطمأنينة على الأرض.  
فهذه لمحة خاطفة عن آية خلق السماوات والأرض التي نمر عليها سراعاً. بينما نتحدث طويلاً وطويلاً جداً. عن جهاز صغير يركبه علماء الإنسان؛ ويحتفظون فيه بالتناسق بين أجزائه المختلفة لتعمل كلها في حركة منتظمة فترة من الزمان! ثم يستطيع بعض الضالين أن يزعم أن هذا الكون الهائل المنظم الدقيق العجيب وجد صدفة واستمر بدون خالق مدبر. ويجد من يستطيع أن يسمع لهذا الهراء من العلماء\*!

ولا شك أن هذا التصميم الذي نلاحظه في كل صغيرة وكبيرة على وجه الأرض هو إثبات لحقيقة وجود خالق عظيم لا حدود لقدرته، خالق متصرف في كل شيء. قال تعالى: [**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** **(59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** **(60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** **(61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** **(62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** **(64**)] النمل.

إن كل ذلك يكشف لنا بكل جلاء أن هذا الكون لم يخلق بلا هدف، ولم يوجد عبثا، وهو ليس نتيجة مصادفات عمياء لحركة المادة؛ إنما الحياة خلقت وفق نظام وتصميم، وتناسق وتوازن.. دقيق للغاية ولهدف معين^.

ووراء هذا يبقى دائماً ما هو أعظم وأكمل.. وهذا ما وعد الله الإنسان به. قال تعالى: [ **سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53**] فصلت.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**التوازن في شخصية: الحبيب محمد**

قال تعالى: **[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) ]** التوبة.لقد لخصت عائشة –رضي الله عنها- زوجه النبي حياة وأخلاق وصفات النبي في كلمات قليلة. فقالت: "كان خلقه القرآن" صحيح الجامع:2/4811 فكيف نصف إنسان عظيم كان خلقة القرآن! القرآن .. الذي جاء شفاء وهدى ونور ورحمة للعالمين.

لقد كان النبي القدوة والقمة والمثل الأعلى في كل خير. وقد حقق التوازن على أتم وأفضل وأقوم وجه. بل هو من علمنا التوازن والوسطية في الإسلام. فاللهم صلى عليه أفضل صلاة، وسلم عيه أزكى تسليم، عدد كل شيء خلقته وعدد كل شيء تعلمه.. وجازه بأفضل ما جازيت نبي عن أمته.

وهل يوجد مخلوقاً على وجه الأرض أعظم وأفضل من رسول الله ؟

\*لقد كان: أتقى الناس وأخشاهم لله وأعلمهم به سبحانه وأعظمهم فيه جهاداً وعبادةً وعملاً.

\*كان أشجع الناس وأكثرهم إقداماً وجرءاً في مواجهه الأعداء وكان أصحابه يتقون به ويحتمون خلف ظهره في الحروب وعند ملا قات الأعداء.

\*كان شجاعاً جريئاً في الحق لا يخشى في الله لومت لائم.

\*كان قائداً فذاً وسياسياً محنكا وإدارياً كفئاً، حكيما بعيد النظر، أسس دولة الإسلام في المدينة وعقد المعاهدات والمواثيق وأرسل الرسل والسفراء.

\*كان مناظراً ومحاوراً لا يشق له غبار، شديد الإقناع والتأثير بالحجة والدليل الناصع .

\*كان يدعوا إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنه، ويحاور بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا.

\*كان حليماً لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله تعالى.

\*كان كريماً يتصدق ويعطي المحتاج وينفق في سبيل الله ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر و يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.

\*كان رحيماً يعطف على المساكين وينصر المظلومين ويمشي في حوائج المحتاجين- خبأ دعوته شفاعه لأمته ورحمة بنا في يوم عصيب.

\*كان زاهداً ورعاً تقياً لا تغريه الدنيا وزينتها.

\*كان عادلاً لا يظلم، يأخذ الحق للمظلوم ويعاقب الظالم.

\*كان دائم البشر ضحكه التبسم، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صاخب ولا فاحش.

\*كان يجيب الدعوة ويكون في خدمة أهله، ويعود المريض ويقبل عذر المعتذر.

\*كان يصل الرحم ويكرم الضيف ولا يقطع على أحد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة.

\*كان يحب الطيب والروائح الحسنه، حريصاً على النظام والنظافة وحسن المظهر.

\*كان حريصاً على هداية الناس جميعاً وإنقاذهم من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة.

\*كان جادا في الحق ومتمسكاً به، لا يرد السيئة بالسيئة، إنما يرد السيئة بالحسنة ويعفو ويصفح.

\*كان أكثر الناس صدقا ًووفاءً وكان أحلم الناس وأوسعهم صدرا وكان طيب العشرة دمث الخلق

وكان قرآناً يمشي على الأرض.

\*كان أكثر الناس تواضعاً، يعرف الفضل لذوى الفضل ولا ينسى الإحسان، ويكافئ على المعروف ويقبل الهدية ويرد بأحسن منها.

\*كان يفشي السلام ويطعم الطعام ويصل الأرحام ويصلي بالليل والناس نيام، ويساعد المحتاج.

\*كان أميناً لا يخون العهد ويفي بالوعد، وكان أكثر الناس ذكراً لله وذكراً للموت واستعداداً للآخرة.

\*كان كثير البكاء رقيق القلب يرحم الأرملة والمسكين والمصاب، ويوصي بالنساء والأيتام..

\*كان يعرف للناس حقوقهم ويقدر العاملين ويثني عليهم ويخاطب الناس على قدر عقولهم.

\*جمعت له كل الخصال الحسنة، ومحيت عنه جميع الخصال السيئة، مدحه ربه من فوق سبع سماوات، فقال عز وجل: [**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**] القلم. وصدق الله تعالى حيث قال: [**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)**] الأنبياء.

لقد كان قرآنا متحركا في دنيا الناس ولقد بلغ القمة في الجمال والجلال والروعة.. فعلم الناس يقينا أن هذا المنهج ما أنزله الله تعالى إلا ليتحول في دنياهم إلى واقع عملي، وإلى منهج حياة، وليكون الرسول القدوة الأولى للإسلام. قال تعالى: [**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)**] الأحزاب.

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

قدوتنا الأولى.

لقد علم الكفار شدة تعلق المسلمين وحبهم لرسولهم وإتباعهم منهجه واتخاذه القدوة الأولى في حياتهم.. فلا أحدا يستحق الاقتداء مثله صلوات الله وسلامه عليه. لأنه بلغ القمة والمثل الأعلى في كل خير ومات على ذلك.

كما وجدوا أن محاربتهم لدين الإسلام لا تأثر شيء كثيرا على الإسلام. فقد مرت الأمة الإسلامية بفترات من الاستضعاف والاحتلال.. ومن أشد تلك المعاناة التي جرت للأمة الإسلامية.. حين هجم عليها التتار، وليس من العجيب أن يهجم عليها أعدائها؛ إنما المستغرب أن الأمة الإسلامية لا تزال محافظة على دينها وعقيدتها، رغم شراسة عدوها، فقد قتل من المسلمين حين ذاك أكثر من 2مليون! ومن المعلوم في الدراسات الاجتماعية أن الدولة الغالبة تأثر بأفكارها وعقائدها على الدولة المغلوبة، ومع ذلك -أي الانتصار الكبير لتتار واحتلالهم بلاد المسلمين حين ذاك- نجد أن المسلمين لم يتأثروا، بل الصورة أصبحت مغايرة تماما، فأعدائهم بدئوا يدخلون في الإسلام!! ومثل ذلك تمام في الحروب الصليبية الشرسة.. فقد توالت حملات صليبية على بلاد المسلمين في الشام.. كان الصليب عنوانها، جاءوا من أوروبا يحملون عقائدهم وأفكارهم.. واقتحموا الديار وسيطروا عليها.. ومع ذلك لم يتنصر أحد!!

أقلق هذا الوضع أعداء الإسلام. وأخذوا يدرسون ذلك الوضع دراسة جيدة، لماذا لا يتنصر القوم؟ لما لم ينحرفوا عن إسلامهم؟؟ رغم ما يعيشون عليه من ذل وهوان واستضعاف!! بالمقابل كانوا يرون أن المسلمين إذا مضوا فاتحين.. أقبلت الأمم على الإسلام دون تردد!

وأخيرا وصلوا.. قالوا: المشكلة تكمن في: القرآن ورسول الإسلام. ولا بد أن نحطم هذا الكتاب وتلك الشخصية (القدوة) فهما المصدرين الأساسيين للمسلمين اللذان لا يتغيران أبدا إلى يوم القيامة.

فأعداء الإسلام لم يجدوا قدوة تستحق فعلا الاقتداء.. حتى قساوستهم ورهبانهم الذين كانوا يثقون فيهم.. فقد ظهر فيهم الشذوذ، والاعتداء على الأطفال واغتصاب النساء، وأكل أموال الحرام..!!

فبدأ أعدا الإسلام محاولة تشويه تلك القدوة العظيمة للمسلمين. فألفوا كتاباً ليكون بديل عن القرآن باسم: "الفرقان الحق" من قرأ ذلك الكتاب يتيقن جزما أن صاحبة بلغ القمة في الغباء والسفه.. فالمسلمون يعرفون دينهم.. ويعرفون دين النصارى.. وقادرون على التفرقة بين دينهم وهذا الكتاب المزيف .. الذي في الأصل كتاب من كتب وتآليف النصارى! فقد ذكروا فيه دينهم وآلهتهم وعقائدهم.. ولو كان عندهم من الذكاء الشيء القليل لما صاغوه بهذه الطريقة المكشوفة الكاذبة. فلو جئنا بأقل المسلمين إيمانا لعلم أن ذلك الكتاب ليس قرانا أبدا! ثم هل يكون هذا الكتاب جديد ظهر فجأة أجاء رسول جديد أم ماذا؟!

المسلمون عاشوا قرونا على القرآن.. ولديهم العلم اليقين أنه لا يتغير فلا يزداد فيه ولا ينقص، فهو ليس ككتبكم ودياناتكم المحرفة!

ثم حاولوا تشويه الرسول بتلك الرسوم والأفلام التافهة التي تصدر واحدة تلو الأخرى ..محاولة لصد المسلمين عن قدوتهم! ولكن.. لقد ازداد المسلمين تعرفا على رسولهم وحبا واقتداء به!!

قال تعالى:[ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** **(32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)**] التوبة.

وأخيرا.. ماذا استفاد أعدا الدين من كل تلك الحروب والاعتداءات والاستهزاءات ؟!!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**العزة للإسلام**

قال تعالى: [**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)**] فاطر.

العزة الصحيحة؛ حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس، فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله تعالى، يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي، يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغباته القاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس. ومتى استعلى على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه، فإنما تذل الناس شهواتهم ورغباتهم، ومخاوفهم ومطامعهم.. ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل شيء وهذه هي العزة الحقيقية\*.

إن العزة ليست عنادا جامحا يستكبر على الحق، ويشمخ بالباطل، وليست طغيانا فاجرا يضرب في عتو وتجبر وإصرار، وليست اندفاعا باغيا يخضع لنزوة ويذل لشهوة، وليست قوة عمياء تبطش بلا حق ولا عدل! إنما العزة استعلاء على شهوة النفس، واستعلاء على القيد والذل.. ثم هي: خضوع لله تعالى وخشوع، وخشيه لله تعالى وتقوى، ومراقبه الله عز وجل في السر والعلن، ومن هذا الخضوع لله تعالى ترتفع الجباه، ومن هذه المراقبة لله تعالى لا تعتني إلا برضاه، ومن هذه الخشية لله تعالى تصمد لكل ما يأباه\*.

قال تعالى: [**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ..** **(1)**] فاطر. هكذا يبين الله تعالى للإنسان مصدر العزة، ليأخذها من الأصل الذي يملك وحده كل العزة، ولا يذهب يطلب بقايا الناس وفضلاتهم وهم مثله طلاب ضعاف! إنه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر. ولا لعاصفة طاغية. ولا لحدث جلل. ولا لمصلحة، ولا لقوة من قوى الأرض جميعا. وعلام؟ والعزة لله جميعاً. وليس لأحد منها شيء إلا برضاه. ومن هنا يذكر الكلم الطيب والعمل الصالح: [**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**] ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر الحقيقة الضخمة إشارة إلى **أسباب العزة ووسائلها:**

1- طلبها من الله وحده. 2- العمل الصالح.3 - القول الطيب.

والذين يمكرون السيئات، يمكرونها طلبا للعزة الكاذبة، والغلبة الموهومة، وقد يبدوا في الظاهر أنهم أعلياء، وأنهم أعزاء، وأنهم أقوياء.. ولكن المكر السيئ قولا وعملا، ليس سبيلا إلى العزة ولو حقق القوة الطاغية الباغية في بعض الأحيان.. لأن نهايته إلى بوار\*. قال تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ** **(20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)**] المجادلة.

\*\*\*

الإسلام دين ثابت راسخ مهما حاول العالم أن يهزه فسيظل ثابت أرسى من الجبال الرواسي، فهو كالنخلة تعطي بلا مقابل وباستمرار.. جذورها ثابتة ولو حاولت كل قوة اقتلاعها من الأرض. تهز الرياح أوراقها يمينا ويسرة. ولكن لا تضرها الرياح شيء فعما قريب تسكن الريح وتظل تلك النخلة باسقة في أعالي السماء. قال تعالى: [**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** **(25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** **(26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** **(27)**] إبراهيم.

هكذا ضرب الله تعالى مثل الإسلام كالنخلة الثابتة. وأما الكفر فكالشجرة الكبيرة كثيرة الأوراق تخدع الناظرين ولكن.. جذورها فوق الأرض ليس لها قرار!

منذ كم والإسلام يحارب؟! فلا يوجد دين على الأرض يحارب كدين الإسلام. ولا يوجد إنسان عظيم أساؤوا إليه كإساءتهم برسول الإسلام.

إن أي دين على وجه الأرض إذا حاربه أعداءة يحارب بالسلاح فقط. ولم نسمع أن النصارى مثلا حاربوا اليهود من ناحية القيم والأخلاق..والعكس! فإن ما يحدث للإسلام حجة واضحة أن الإسلام دين قيم وطهر وصلاح.. والأعداء يحقدون لذلك!

فلقد حارب أعداء الإسلام المسلمين بكل الوسائل والطرق، فحاربوه بالسيف والنار والتشويه والسخرية وصد الناس عن الإسلام بادعاءاتهم الكاذبة الضالة ومحاولة إفساد المسلمين وتشكيكهم في دينهم.. وراحوا يوردون لهم جميع الفتن من نساء عرايا.. وأفلام تافهة وذليلة.. وفسق وغناء.. كل ذلك ليصدوا المسلمين عن دينهم وعزتهم!

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما فتح القدس: " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله "

فلا عزة لنا إلا بتمسكنا بكتاب الله تعالى وسنته نبينا ونهج صحابته الكرام قال تعالى: [**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** **(43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** **(44)**] الزخرف. قال تعالى: [**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)**] الأنبياء.

فجدير بنا أن نفخر بديننا ونطبقه في واقع الناس بلا خجلٍ أو حرج، قال تعالى: [**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..** **(110**]آل عمران حتى وإن خالف إسلامنا العادات والتقاليد والأهواء.. فحق لنا أنعلوا فوق كل أولاء. قال تعالى: [**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** **(139)**] آل عمران. فلا تخدعنا المظاهر ومتاع الدنيا الزائل. قال تعالى: [**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ** **(196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** **(197)**] آل عمران. قال تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** **(12)**] محمد. ولا يضرنا استهزائهم وسخريتهم.. فإن الحق ظاهر. قال تعالى: [**وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** **(65)**] يونس قال تعالى: [**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** **(33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ** **(34)**] الأنعام. لكنهم ضلوا بجهلهم وابتغوا العزة في ضلالاتهم. قال تعالى: [**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا** **(81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا** **(82)**] مريم. فاصبروا.. واثبتوا على الحق. ولا يضركم كيد أعدائكم. قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** **(105)**] المائدة. فلا يغرنا مكر الماكرين وحقد الحاقدين فإن العزة للإسلام. قال تعالى: [**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** **(8)**] المنافقون.

ولن تزال طائفة من المؤمنين ثابتين على الحق لا يضرهم شيئا. قال تعالى: [**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** **(181)**] الأعراف. قال : ( لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) خ/2 [ 7022 ]

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

قال تعالى: [**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**] فاطر.

فالله تعالى هو من يملك العزة فلا عزة إلا بإرادته تعالى.

فمن أراد العزة.. فليتبع دين الله تعالى.. ودين الله عز وجل: الإسلام. الذي لا يقبل الله تعالى غيره.

قال تعالى: [**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)**] آل عمران.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**(( المراجع ))**

القرآن الكريم –نسخة الكترونية- الإصدار الخامس. إنتاج موقع روح الإسلام.

صحيح البخاري –كتاب الكتروني- (المكتبة الإسلامية) مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

رياض الصالحين.تأليف/ النووي. تحقيق/ عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق. الطبعة/ دار المأمون للطباعة والنشر.

تفسير في ظلال القرآن. للمفكر سيد قطب/ الطبعة الشرعية السابعة والثلاثون/ دار الشروق.

أوقات مليئة بالحسنات مع النية الصالحة.إعداد/ سمية السيد عثمان/ الطبعة الأولى الخيرية.

تلبس إبليس. تأليف/ الإمام أبي الفرج بن الجوزي/ تحقيق/ محمد عبد القادر الفاضلي/ المكتبة العصرية.

منهاج القاصدين. تأليف/ الإمام أحمد بن قدامة المقدسي. تقريظ وتقديم/ الدكتور وهبة الزحيلي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ محمد وهبي سليمان. المكتبة العصرية.

الحقوق الإسلامية. فضيلة الشيخ/ محمد حسان. مكتبة/ فياض.

منهاج المسلم.

بعض المواقع والمقالات على شبكة الانترنت.

الرموز المستخدمة في الكتاب: (خ) البخاري. (م) مسلم.(\*) منقول بتصرف من كتاب: في ظلال القرآن. (^) منقول "بالنص أو بتصرف"من مقالات ومواقع على الشبكة، وبعض الكتب التي انتقينا منها بعض المقاطع في زمن مضى يصعب تذكرها. (") نقلا من كتاب: تلبيس إبليس.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1- المقدمة.................................................................................................

2- الحمد لله على نعمة الإسلام...........................................................................

3- معنى التوازن........................................................................................

4- التوازن في الإسلام..................................................................................

5- أمة وسطا.............................................................................................

6- التوازن في: الإيمان بالله تعالى وملائكته............................................................

7- التوازن في: الإيمان بالكتب والرسل.................................................................

8- التوازن في: الإيمان بالآخرة........................................................................

9- التوازن في : الإيمان بالقدر.........................................................................

10- التوازن في: الجنة التوبة الرحمة...................................................................

11- التوازن في: الإتباع................................................................................

12- التوازن في: الحرية...............................................................................

13- التوازن في: العدل................................................................................

14- التوازن في: الحلال والحرام.....................................................................

15- التوازن في: العبادات..........................................................................

16- التوازن في: الدعوة إلى الإسلام.................................................................

17- التوازن في: الجهاد................................................................................

18- التوازن في: الزهد................................................................................

19- التوازن في: التوكل مع الأخذ في الأسباب................................................

20- التوازن في: المعاملات........................................................................

21- التوازن في: المال............................................................................

22- التوازن في: العفو والانتصار........................................................................

23- التوازن في: الفرح والحزن......................................................................

24- التوازن في: الغناء...................................................................................

25- التوازن في: خلق الإنسان.........................................................................

26- التوازن في: الكون والطبيعة...................................................................

27- ا لتوازن في: شخصية الرسول .................................................................

28- العزة للإسلام......................................................................................

29- المراجع............................................................................